كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

دور المندوب البابوي أدهيمار دي مونتيل في الحملة الصليبية الأولى

إعداد

د/ إمام الشافعي محمد حمودي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
بكلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد الثاني والثلاثون – الجزء الثالث ٢٠١٣م)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ،،،

تُعد الحروب الصليبية من أهم الأعمال التى قام بها الغرب الأوروي ضد الشرق الإسلامي ، بغرض الاستيلاء عليه واستنزاف خيراته ، وقد استمرت هذه الحروب لنحو قرنين من الزمان ، وكانت سجالاً بين الطرفين ، وتسببت فى تعطيل قوى الإبداع فى الحضارة العربية الإسلامية ، وكانت الحملة الصليبية الأولى من أنجح الحملات الصليبية الأخرى ، على أساس أنها استطاعت أن تحقق الهدف المرسوم لها من قبل البابوية ، وهو احتلال القدس الشريف .

لم تكتف البابوية المتمثلة فى البابا أوربان الثاني فى الإعلان عن بدء الحركة الصليبية فى مؤتمر كليرمونت ، بل عبر البابا تعبيراً كبيراً على أن هذه الحركة كانت صنيعة من صنائع البابوية ، بأن عيَّن على هذه الحملة مندوباً بابوياً نيابة عنه ليقود هذه الحملة نحو الشرق ، هو ربيبته الأسقف أدهيمار دى مونتيل أسقف كاتدرائية لى بوى بجنوب فرنسا .

عند مطالعة المصادر التاريخية العربية المعاصرة للحملة الصليبية الأولى والغير معاصرة لها ، فإن الشئ الملفت للنظر فيها ، هو عدم ذكرها لأي شئ عن هذا المندوب البابوي ، لا عن حياته ، ولا عن الدور الكبير والخطير الذى قام به فى هذه الحملة ، فدفعني هذا الأمر إلى الكتابة عن دور المندوب البابوي أدهيمار دى مونتيل فى الحملة الصليبية الأولى ، وذلك للأسباب الآتية :

١. أن المصادر العربية ، بل والمكتبة التاريخية العربية . على حد علمي . تكاد تكون خالية من أى كتابة عن هذا الرجل ودوره فى الحملة الصليبية الأولى ، فأردت أن أخص دوره بدراسة مستقلة تكشف كل جوانبه .

٢ـ تفسير الكثير من الأحداث التاريخية الواردة فى المصادر العربية عن الحملة الصليبية الأولى من أسباب للنصر أو الهزيمة ، وسد ما بها من فجوات تاريخية مجهولة عن هذه الحملة ، وهو مالا يمكن أن يتأتى إلا من خلال الإطلاع على المصادر الأوروبية المعاصرة والغير معاصرة لهذه الفترة ، والتى تحدثت عن أعمال وتدابير أدهيمار دى مونتيل نظراً لمعايشتهم للأحداث داخل المعسكر الصليبي .

وقد تناول البحث الحديث عن دور البابوية فى إزجاء نار الحركة الصليبية ثم الحديث عن حياة أدهيمار دى مونتيل قبل إنطلاق الحملة الصليبية الأولى والوقوف على المحطات الهامة فى حياته ، والتى انعكست بعد ذلك على عمله فى قيادته للحملة الأولى ، وكذلك بيان دور أدهيمار فى الدعوة للحركة الصليبية ، واشتراكه مع البابا أوربان الثاني فى الإعداد لمؤتمر كليرمونت ، وحضوره هذا المؤتمر ، والذى انتهت أعماله بقرار تعيينه مندوباً بابوياً للحملة الصليبية الأولى وبيان الأسباب التى دعت البابا أوربان الثاني لاختياره لهذا المنصب .

ومن النقاط الهامة التى تحدث عنها البحث ، استعداد أدهيمار المادي والمعنوي تمهيداً لانطلاقه نحو الشرق ، وتوجهه نحو مدينة القسطنطينيه برفقه ريموند كونت تولوز ، وما لاقاه من أهوال وصعاب حتى وصل إليها ، وهناك بدأت فعاليات الحملة الصليبية الأولى ، والتى بدأها أدهيمار بتسوية الخلافات بين الإمبراطور البيزنطي وقادة الصليبيين ، كي لا تلقي بظلالها سلباً على القضية الصليبية وأهدافها العامة .

وعلى الرغم من أن المشهور عن أدهيمار أنه كان قائداً روحياً للحملة الصليبية الأولى ، إلا أن الدراسة تطرقت إلى الحديث عن أعماله العسكرية واشتراكه فى حصار وسقوط مدينة نيقية عاصمة سلاجقة الروم ، وبيان دوره العسكري الكبير فى تحقيق النصر الصليبي على المسلمين فى معركة دوريليوم ، كما تناولت الدراسة دوره فى حصار وسقوط أنطاكية ، ودوره فى فك الحصار الإسلامي الذي ضرب عليها .

هذا ولم تغفل الدراسة أيضاً الحديث عن دوره الاجتماعي والديني فى الحملة الصليبية الأولى ، وكيف كان يوظِّف الدين لخدمة الحركة الصليبية ، وكذلك سياسته الدينية تجاه الطوائف المسيحية الشرقية المخالفة له فى المذهب ولاشك أن أعماله هذه قد أفادت الصليبيين كثيراً ، لكنها انعكست سلباً على الجانب الإسلامي ، ثم جاء الحديث عن وفاته فى أنطاكية والآثار التى ترتبت عليها ، ولو قدر له أن يعيش حتى استيلاء الصليبيين على القدس ، بناءً على مكانته الدينية وأعماله العسكرية ، لكان من الممكن أن نقرأ عنه كأول ملك لمملكة بيت المقدس الصليبية .

أخيراً ... أرجو من الله تعالى أن يستفيد من هذا البحث كل من يقرأه ، وهو من وراء القصد والسبيل .

البابوية والحركة الصليبية

طوال ألف ومائة من السنين ، هي عمر الأمبراطورية الرومانية في ثيابها البيزنطية ، لم ترفع الكنيسة رأسها معارضة الأمبراطور ، وإذا كانت قد آنست من نفسها قوة ، حينًا أو بعض حين ، فقد كان لها الأمبراطور بالمرصاد ... فقد أمست الكنيسة في الأمبراطورية دائرة من دوائرها الحكومية ، وغدا أسقفها(*) موظفًا كبيرًا لدى الأمبراطور ، الذي يعين الأساقفة ويعزلهم إلى عقد المجامع(**) الدينية فلم يكن الفكر السياسي الروماني يقبل مطلقًا بوجود كيان مستقل عن سلطة الأمبراطور ، فهو صاحب السلطة المطلقة في دولته ، والكنيسة تنأى بنفسها عن هذا السلطان . (١) غير أن الكنيسة بلغت مرحلة حاسمة في تاريخها في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي . الخامس الهجري ، وهو العصر الذي يعرف بعصر البابا جريجوري السابع(***) ، أعظم بابوات العصور الوسطى ، ذلك أن جريجوري السابع

(*) الأسقف Bishop : يحدد الأسقافة بأنهم خلفاء الرسل ، ومكلفون بإدارة شئون كنيسة خاصة . صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ط . دار المشرق . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية سنة ١٩٩٨م . ص ٣٩ .

(**) مجمع Council : هو مجلس أساقفة نظامي يُدعى إليه جميع أساقفة المسكونة ويرأسه أسقف روما بنفسه أو عن يد مفوضين . المرجع السابق : ص ٤٣٦ . ٤٣٧ .

(١) د. رأفت عبد الحميد : السمو البابوي بين النظرية والتطبيق . ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط . تحرير د / قاسم عبده قاسم . ط . دار المعارف سنة ١٩٨٤م . مجلد ٣ . ص ١٦١ . ١٦٥ . بتصرف بسيط .

(***) جريجوري السابع Gregory VII : في الفترة من (١٠٧٣م) إلى (١٠٨٥م) اكتسب شهرته من سياسته تجاه الأمراء ، خاصة السيادة الألمانية ، فضلاً عن التصريحات العقائدية له .

New Catholic Encyclopedia . the catholic university of American Press, washington . U. S. A. vol , 6. p. 470.

وقف من الإمبراطورية موقفًا عنيدًا لإجبارها على الاعتراف بسمو البابوية ، وبأن هذه البابوية مصدر جميع السلطات السياسية والدينية . [١]

كان البابا جريجوري السابع يصور نفسه على أنه القناة التي من خلالها تنفذ إرادة بطري أمير الرسل إلى بني البشر ، ، فالبابا هو الناطق بلسان القديس بطرس ، ومنه يستمد سلطانه الفائق بالربط والحل في السماء وعلى الأرض ، وعلى خيوط هذه النظرية البطرسية ، نسجت البابوية خيوط سموها وعلو مكانتها في النواحي الروحية والزمنية سواء ، واعتمادًا على هذا كله ، راح البابوات يروجون لسلطانهم ، ويكتبون إلى الحكام ، كما لو كانوا يكتبون إلى من هم أدنى منهم مرتبة [٢] .

فقد أدى الإصلاح الكنسي إلى نزاع مرير بين المصلحين الكنسيين والحكام العلمانيين [*] ، بلغ ذروته في ما يسمى بالنزاع على تعيين الأساقفة والخاص بمن يحق له تعيين الأساقفة في مناصبهم : البابا أم الحاكم العلماني ، وكان الخصمان الرئيسيان في هذا النزاع هما الإمبراطور هنري الرابع[**] ، والبابا جريجوري السابع [١]

---

[١] د. سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى . ط . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة سنة ١٩٥٩م . جـ٢ ص ٣ .

[٢] د. رأفت عبد الحميد : السمو البابوي بين النظرية والتطبيق ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط . مجلد ٣ ص ١٨١ ـ ١٨٣ .

[*] علماني Lay : هو من لم يكن من رجال الإكليروس (الدين) ، بل كان عضوًا عاديًا من أعضاء الشعب . صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص ٣٣٢ .

[**] هنري الرابع Henry IV : ولد في ١١ نوفمبر سنة ١٠٥٠م ، وتولى ملكًا على ألمانيا سنة ١٠٥٤م ، توفى في ٧ أغسطس سنة ١١٠٦م .

Encyclopedia Britannica . Cambridge university Press, 1911. " Henry IV ".

، وقد استمر تمجيد السيادة الرومانية . السمو البابوي . من قبل خلفاء جريجوري السابع خاصة في ظل البابا أوربان) *) الثاني . [٢]

لم يكتف أوربان الثاني في سنة ١٠٩٥م / ٤٨٨هـ بمنع رجال الكنيسة من قبول التقليد العلماني مع الشارات الروحية ، ولكنه منعهم أيضًا من تقديم فروض الولاء لأي علماني في مقابل الأرض التي يتلقونها منه ، أيًا كانت الظروف[٣] ، فأراد البابا أن يؤكد الزعامة البابوية وتثبيت وضعه إزاء الإمبراطور الألماني الذي كان مشتبكًا معه في صراع أورثه إياه سلفه البابا جريجوري السابع وكان الصراع بين الإمبراطور والبابوية من أهم حوافز البابا على هذه المحاولة لفرض زعامته على أوروبا من خلال مشروع ديني الطابع مثل " الحملة المقدسة"[٤] .

---

[١] توماش ماستناك : السلام الصليبي . ترجمة / بشير السباعي . ط . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة سنة ٢٠٠٣م . ص ١٨١ .

[*] أوربان الثاني Urban II : تولى البابوية من ١٢ مارس ١٠٨٨م حتى ٢٩ يوليو ١٠٩٩م . كان راهبًا في دير كلوني وفي سنة ١٠٨٠/٧٩م تم تعيينه من قبل البابا جريجوري السابع أسقفًا لأوسيتا Osita ، وتوفى أوربان في يوليو ١٠٩٩م قبل أن يعلم بأن الجيوش الغربية استولت على أورشليم .

New catholic Encyclopedia . vol, 14. pp. 335 -336.

[2] Ibid : vol, 6. p. 471.

[٣] موريس كين : حضارة أوروبا العصور الوسطى. ترجمة . د / قاسم عبده قاسم . ط . دار . القاهرة سنة ٢٠٠٧م . ص ٧٢ .

[٤] د. قاسم عبده قاسم : الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية. ط . دار عين . القاهرة سنة ٢٠٠١م . ص ١٤ .

إن الحرب الصليبية لعبت دورًا رئيسيًا في تكوين البابوية ، فعن طريق شن الحرب الصليبية فرضت البابوية بالفعل سيطرتها على السلم والحرب في الجماعة المسيحية ، فقد استخدم الباباوات الحرب الصليبية كفرصة ومبرر لتدخل بابوي واسع الانتشار في الشئون الزمنية ، كما استخدمها الحكام العلمانيون في السعي إلى تحقيق مصالحهم الخاصة . [١]

فقد قام البابا أوربان الثاني بالدعوة للحرب الصليبية في مجمع كليرمونت سنة ١٠٩٥م / ٤٨٨هـ مستغلاً رغبة الأوروبيين في الغفران ، فأعطاهم الكثير من الإمتيازات وأمّن لهم طريق الخلاص عن طريق القسم لكل من شاركوا في الحملة الصليبية [٢] فجذبت الحركة الصليبية رجالاً ونساء من جميع الطبقات ، وكان انضمام الجماهير إلى الحملة الصليبية الأولى ناتجًا عن الفوضى ، وعن تسمم وبائي كان يجتاح غرب أوروبا وعن محنة اقتصادية . [٣]

كانت الحملة الصليبية الأولى التي قام بها غرب أوروبا استجابة لدعوة البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت الكنسي ، هي البداية الحقيقية للحركة الصليبية ، وإذا كانت هذه الحركة في مجملها تعد مشروعًا فاشلاً ، فإن الحملة الصليبية الأولى ، بما حققته من إنجازات عسكرية في فترة زمنية قياسية ، تعد

---

[١] توماش ماستناك : السلام الصليبي . ص ١٨٧ . ١٨٩ .

[2] D.S. Chambers : Popes, Cardinals and war published in London , 2006. p. 12 .

[٣] جوناثان ريلي سميث : تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية . ترجمة د/ قاسم عبده قاسم . ط . دار عين . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م . ص ١٠٥.

أكثر الحملات الصليبية نجاحًا (*) ، فمن الناحية العملية نجحت هذه الحملة في تحقيق أهم الأهداف التي حددتها لها البابوية ، واستولى الصليبيون على مدينة القدس من المسلمين (١) ، فقد أعتبر البابا منذ اللحظة الأولى أن جميع ما قد يتم من فتوحات في الأراضي المقدسة فتحًا باباويًا (٢) فمنذ الحملة الصليبية الأولى لا يوجد بابا ناضل بشكل أكثر قوة من البابا أوربان الثاني من أجل جعل الحرب الصليبية مشروعًا كنسيًا وبالأخص باباويًا . (٣)

كان الهدف المعلن للحملة الصليبية الأولى هو الحج إلى الأرض المقدسة وقتال المسلمين لتحرير الأماكن التي شهدت قصة المسيح على الأرض من أيديهم ولا غرابة في أن تُشن الحرب باسم الدين في أي زمان ومكان ، لكن وجه الغرابة هو أن تُشن الحرب باسم الدين المسيحي ، ذلك أن من يمعن النظر في الأناجيل المسيحية يجد اتجاهًا سلميًا واضحًا يفرض نفسه على أتباع هذا الدين ، ومن يتأمل تاريخ المسيحية الباكر يسترعى انتباهه على الفور ذلك الموقف المعادي

(*) كانت الحروب الصليبية أو حروب الفرنج ، كما سماها العرب الذين عاصروها سببًا من أسباب تعطل قوى الإبداع والنمو في الحضارة العربية الإسلامية ، وبعد نهاية النضال ضد الصليبيين دخلت المنطقة العربية في منحى التدهور والأفول . د / قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية . ط . المجلس الوطني للثقافة . الكويت . سلسلة عالم المعرفة سنة ١٩٩٠م . ص ١١ .

(١) ريموناجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ترجمة . د / حسين محمد عطية . ط . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية سنة ٢٠٠٢م . مقدمة الترجمة العربية . ص ١٥.

(٢) د. أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى . ط . المكتبة البوليسية . بيروت . لبنان سنة ١٩٨٨م . جـ٢ص ٢٦٥.

(٣) توماش ماستناك : السلام الصليبي.ص ١٩٣ .

للحرب من جانب المسيحيين . [١]

إن الكنيسة الكاثوليكية [*] في الغرب كان لها دور فعال في توجيه الحركة الصليبية وفي السيطرة عليها باسم الدين ، فهي التي دعت إليها ، وهي التي أمدتها بتأييدها الأدبي والمعنوي ، وهي التي شجعت المحاربين من كافة الأجناس والفئات على الاشتراك فيها ، وأخيرًا كان يمثلها في كل حملة صليبية مندوب بابوي يعين من قبلها [٢] ، فقد استطاع أوربان الثاني بخطاب موعظته المقدسة أن يوحد حوالي مائة ألف رجل من مختلف الدول للحرب في سبيل المسيح ... وعهد بالإشراف على هؤلاء الرجال إلى المبجل (أدهيمار) أسقف بوي. [٣]

وبما أن أدهيمار هذا والدور الذي قام به في الحملة الصليبية الأولى هو موضوع البحث ، كان لزامًا على الدراسة التعريف به وبحياته قبل أن ينخرط في سلك الحركة الصليبية عمومًا لما لذلك من انعكاسات كبيرة على خط سير الحملة، وهو ما سوف نتعرف عليه في الصفحات التالية.

---

[١] د. قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ط . دار عين . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م . ص ١١ . ١٢ .

[*] الكاثوليك Catholicity : هم جماعة المسيحيين المتحدين إيمانًا وطاعة بكنيسة روما . صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص ٣٩٠.

[٢] د. جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى . ط . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية سنة ١٩٦٣م . ص ٦٨ .

[٣] أوتو أسقف فريزنغ : المدينتان . ترجمة د/ سهيل زكار . نشر ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . ط . دار الفكر . دمشق . سوريا سنة ١٩٩٧م . جـ ٢٨ ص ٣٢٨ .

حياة أدهيمار دي مونتيل

إن المعلومات التاريخية عن حياة أدهيمار دي مونتيل Adhemar de Monteil قبل انخراطه في الحركة الصليبية تكاد تكون قليلة جدًا ، بل إنها تكاد تكون معدومة من الأساس في بعض المصادر الأوروبية المعاصرة له ، وركزت هذه المصادر في الغالب على دوره في الحملة الصليبية الأولى بداية من توليه قيادة الحملة في كليرمونت .

أما المصادر العربية المعاصرة والغير معاصرة لهذا الرجل ، فلا نجد فيها ذكر له إلا في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الذي يقول في حديثه عن قادة الصليبيين [١] : " كان معهم راهب مطاع فيهم ، وكان داهية من الرجال " ، وما عدا هذه الجملة المقتضبة . التي ربما كان يقصد بها أدهبمار أو غيره . لا يوجد أي ذكر لأدهيمار دي مونتيل في أي مصدر عربي على الإطلاق ، لا عن حياته قبل قدومه في ركاب الحملة الصليبية الأولى ، ولا عن دوره الخطير في هذه الحملة ، يقول ريموندا جيل عن سبب تأليفه لكتابه وهو من المعاصرين للأحداث التاريخية في الحملة الصليبية الأولى بل ومن المشاركين في أحداثها [٢]: " فقد كان محل اهتمامنا هو الكتابة عن كونت سانجيل [*] وأسقف لي بويه وجيشهم ، دون القلق

---

[١] ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ط . دار صادر . بيروت . لبنان . الطبعة السادسة سنة ١٩٩٥م . جـ ١٠ ص ٢٧٧ .

[٢] تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس : ص ٥٤ .

[*] كونت سانجيل : هو ريموند كونت تولوز ويعد واحدًا من أقوى سادة فرنسا الإقطاعيين ، فهو يحوز ثلاث عشرة كونتية في بروفانس وفي لانجدوك . ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ترجمة / بشير السباعي ط . دار عين . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣ . ص٧٧ .

بشأن الآخرين " أي أنه ركز في كتابه . الذي يُعد من أهم المصادر المعاصرة للحملة الصليبية الأولى . على دور الكونت ريموند السانجلي وأسقف لي بويه ، إلا أنه لم يتحدث عن أدهيمار دي مونتيل أسقف لي بويه وحياته قبل إنطلاق الحملة الصليبية الأولى ، بل كان جُل اهتمامه على دوره في فعاليات الحملة ذاتها .

إن صفحات المؤرخين لم تعرضه إلا على أنه شخص غامض ، لكنها أظهرته أيضًا على أن نفوذه الشخصي يفوق نفوذ سائر الصليبيين [١] ، ومع ذلك هناك روايات تاريخية متنوعة ، يمكن من خلالها إلقاء الضوء على حياته قبل انخراطه في سلك الحملة الصليبية الأولى .

كان أدهيمار Adhemar (والمعروف أيضًا باسم أديمار Ademar وإيمار Amar أو أليرز Allarz) دي مونتيل De Monteil واحدًا من الشخصيات الرئيسية في الحملة الصليبية الأولى [٢] ، وهو من عائلة فالنتينوس Valentinos النبيلة ، وكان فارسًا جيدًا تدرب على استخدام الأسلحة ، وكان يدافع عن كنيسته من اللوردات المجاورين له بقوة [٣] فكان هذا الأسقف في الوقت نفسه سيدًا زمنيًا ، وكان يشارك في مجلس البارونات ويكفل الإطار الديني للجيش [٤] ، حيث كان الأساقفة ورؤساء الأديرة هم أنفسهم أصحاب إقطاعيات ولهم

---

[١] ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . ترجمة د / السيد الباز العريني . ط . دار الثقافة . بيروت سنة ١٩٩٧م . جـ١ ص ٣٧٧ .

[2] Encyclopedia Britannica . vol, 11 " Adhemar de Monteil ".

[3] Kenneth. M. Setton : Ahistory of the crusades. the university of Wisconsin Press. London, 1969. vol, I. P. 234.

[٤] ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ص ٥٥ .

فرسانهم التابعون لهم . [١] ومما يدلل على أن أدهيمار دي مونتيل كان من أصل نبيل ، أن شقيقه وليم هيو كان أميرًا لمونتيل [٢] ، ومع ذلك كانت أسرة الأسقف أدهيمار تعمل في تبعية الكونت ريموند السانجيلي . [٣]

أما عن ميلاد أدهيمار دي مونتيل فإن المصادر التاريخية لم تذكر شيئاً صريحاً عن ذلك ، لكنه عندما رافق الكونت ريموند تولوز إلى القسطنطينية ، كان عمره يناهز الخمسين [٤] وبما أن أدهيمار دي مونتيل قد أنطلق إلى الشرق بصحبة الكونت ريموند في عام ١٠٩٦م / ٤٨٩هـ . فيمكن القول بأنه كان من مواليد سنة ١٠٤٦م / ٤٣٨هـ ، أو ما يقاربها .

ومن المحطات الهامة في حياة أدهيمار دي مونتيل قبل انخراطه في سلك الحركة الصليبية ، أنه ذهب للحج في الأرض المقدسة ، ذلك أن البابا جريجوري السابع ، كان قد اقترح سنة ١٠٧٤م / ٤٦٧هـ أن يقود جيشًا إلى الشرق ، وأن يواصل تقدمه حتى القبر المقدس [٥] ، فأدى فريضة الحج إلى بيت المقدس [٦] فأضاف إلى مؤهلاته العامة خبرة في أمور الشرق ومعرفة لسكانه [٧] .

---

[١] جوناثان ريلي سميث : الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية . ترجمة د / محمد فتحي الشاعر . ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية سنة ١٩٩٩م ص ١٥ . ١٦ .

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٤٢٢ .

[٣] د. جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص ٢٠٥ .

[4] History of the knights Tampler, the privy journal , I st, 2001. p.7.

[٥] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ٤٦ .

[6] Setton : Ahistory of the crusades. Vol,1. p. 234.

رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٧٤.

[٧] د. أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى . جـ ٢ ص ٢٦٥ .

أما عن توليه لأسقفية [*] لي بوي Le Puy ، فقد كان العالم المسيحي الغربي ينقسم إلى اسقفيات واسعة ، يرأس كل منها أسقف يشرف على شئون الكنيسة ورجال الدين في اسقفيته ، ثم انقسمت كل أسقفية من هذه الاسقفيات إلى إبرشيات [**] صغيرة ، بكل منها كنيسة يشرف عليها قسّ ... وقد تمتع الأساقفة بسلطان واسع في الإشراف على شئون اسقفياتهم وإدارتها وتوجيه القساوسة التباعين لهم . [١]

على الرغم من أن بعض الأديرة مثل كلوني [***] كانوا قادرين على إعفاء أنفسهم إلى حد ما من تولية أساقفة الأبرشيات خلال القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري ، إلا أن تدخل البابوية في الحياة النشطة داخل الكنيسة في فرنسا في جزء لاحق من هذا القرن ، أدى إلى حد ما إلى إعادة بناء سلطة الأساقفة ، حيث اعتقد البابوات أن هذا عبارة عن بناء هرمي يلعب فيه الأساقفة بلا شك دورًا هامًا كوسطاء بين البابوية والكنائس والأديرة المحلية [٢] .

---

[*] الأسقفية Episcopacy : هي أعلى الدرجات في سر الكهنوت . الوظيفي . صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص ٤٠ .

[**] الأبرشية Diocese : هي المنطقة الخاضعة لسلطة الأسقف ، وهي كلمة مشتقة من اليونانية " إيبارخية " . المرجع السابق : ص ٦ .

[١] د. سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى . جـ ٢ ص ١٩ . ٢١ .

[***] أسس دير كلوني في عام ٩١٠م / ٢٩٨هـ وليم التقي دوق أكويتانيا Aquitaine وذلك في أبرشيه ماكون Macon .

The Cambridge medieval history, Cambridge University Press , London . 1923. Vol, V. P. 661.

[2] Constance Bouchard : the Kingdom of the Franks to , 1108. the New Cambridge medieval history , Cambridge University Press, 2008, Vol, IV. part . 2, p. 125.

عندما جاء البابا جريجوري السابع اتجهت سياسته نحو الإبقاء على العنصر الشعبي في اختيار الأساقفة والذي يتألف من قساوسة الأسقفية ورعيتها ، وذلك ليكون قوة مضادة لنفوذ الأمراء والحكام العلمانيين ، واكتفى جريجوري السابع بأن يقسم الأساقفة للبابا يمين الولاء والطاعة . [١]

كانت لي بوي Le Puy البهيجه بتكويناتها البركانية ، مركزًا مرموقًا للنشاط الديني قبل الحملة الصليبية الأولى[٢] حيث كان القديس جيل St. Gilles يتم الاحتفال السنوي به في كنيسة لي بوي Le puy والكنائس الأخرى التابعة لها[٣] ، كما عقدت في لي بوي المجامع الكنسية البابوية ، ففي سنة ٩٩٠م ، ٣٨٠هـ عقد مجمع كنسي في لي بوي تم التأكيد فيه على تحريم مهاجمة الممتلكات الكنسية ، والفلاحين وأملاكهم [٤] إذ أعلن جاي أنجو Guy of Anjou أسقف لي بوي ، أنه ما لم يتحقق السلام ، لن يرى أحد وجه المسيح ، وحث جميع الرجال على أن يصيروا من دعاة السلام . [٥]

كان رجال الدين المسيحي بصفة عامة جماعة من الرجال من أصحاب النظرة الرجعية ، وكان أدهيمار رجل إصلاح يتمتع بالكفاءة [٦] فأصبح أدهيمار أسقفًا لمدينة لي بوي بمساعدة البابا جريجوري السابع ، وكانت الأبرشية تابعة للبابا

---

[١] د. سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى . جـ٢ ص ٢٥ .

[٢] ريموناجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ص ٣٩ ، المقدمة الإنجليزية للكتاب .

[٣] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ٧٢ .

[٤] د. قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ص ٤٣ .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ ١ ص ١٣٨ .

[٦] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ١٥٠ .

مباشرة ، وعليه فقد كانت مركزًا للنفوذ البابوي والإصلاح الكلوني في تلك النواحي[١] فكان أدهيمار أسقفًا على لي بوي Le puy قبل سنة ١٠٨٧م / ٤٨٠هـ[٢]،وبما أنه ذكر آنفًا بأن أدهيمار كان من مواليد سنة ١٠٤٦م / ٤٣٨هـ فعليه يمكن القول أيضًا بأنه كان في الأربعين من عمره عندما أصبح أسقفًا على لي بوي،وأن توليته لهذه الأسقفية الهامة في فرنسا كانت من البابا جريجوري السابع نفسه،مما يدلل على مهاراته الخاصة التي جعلته يتبوء هذه المكانة في الكرسي البابوي .وقد أفاضت الكتب التاريخية في ذكر المهارات الخاصة التي كان يتمتع بها أدهيمار ، فقد كان شريفًا من أشراف فرنسا ، يجيد الخطابة ويحسن السياسة هادئًا لطيفًا واسع الأفق بعيد النظر [٣] ، له من الذكاء والدهاء حظ عظيم [٤] وكان متواضعًا لا يميل إلى العنف ، غير أنه كان دائمًا مستعدًا لبذل النصيحة الصادقة ، حتى في الأمور الحربية [٥] وروي من قبل عشرات مؤرخي الحروب الصليبية أن الأسقف أدهيمار كان زعيمًا ورجل دين وجنديًا ، كما اتفق مؤرخو الحملة الصليبية الأولى على أن أدهيمار كان مؤثرًا حقًا ، وأن نفوذه على الصليبيين كان مفيدًا [٦] وهو ما سوف يتضح في الأوراق التالية .

---

[١] فوشيه الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس . ترجمة د / زياد العسلي . ط . دار الشروق . عمان . الأردن . الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ، ص ٨٨ ، حاشية رقم (١٤).

[2] Encyclopedia Britannica , Vol, II " Adhemar de Monteil ".

[٣] د. أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى . جـ ٢ ص ٢٦٥.

[٤] د. عزيز سوريال عطية : الحروب الصليبية . ترجمة د/ فيليب صابر .ط . دارالثقافة . القاهرة . الطبعة الثانية . لم تذكر سنة الطبع . ص ٣٩ .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص ٣٧٧ .

[6] James. A. Brundage : Adhemar of puy. Speculum , vol., 34. No. 2. (APR., 1959) , p. 201.

دور أدهيمار في الدعوة للحركة الصليبية

كانت جماعة كلوني الديرية جنوبي فرنسا هي أول من شجع مسيحي الغرب على القتال ضد العرب والمسلمين في أسبانيا وغيرها من المناطق التي كانت في قبضة المسلمين في جنوب غرب البحر المتوسط ، وذلك قبل الحركة الصليبية نفسها ، وقد ساهمت تربية أوربان الثاني وتنشئته الكلونية إلى حد كبير في التعجيل بتنفيذ الفكرة الصليبية [١] فقد كان أوربان الثاني أصلح شخصية معاصرة لتنفيذ المشروع الصليبي ، إذ كانت لديه الجرأة على الدعوة للحرب الصليبية ورعايتها فضلاً عما عُرف به من بُعد النظر ومقدرة في اختيار الرجال وتوجيههم والتأثير عليهم . [٢]

وأثبتت المملكة الفرنسية والإقطاعيات التابعة لها ، فيما عدا النورمانديين أنها الصخرة التي بنى عليها أوربان الثاني طموحه لحرب صليبية نحو الشرق ، وأوربان الذي كان فرنسي المولد وكلوني بحكم عمله ، رأى ببصيرته أن يختار فرنسا وطنه الأصلي ليبدأ منها حركته الجديدة [٣] فبعد انتهاء مجمع بيلزانسيا سنة ١٠٩٥م / ٤٨٨هـ ترك البابا أوربان الثاني هذه المدينة ، متجهًا إلى فرنسا فاجتاز جبال الألب ، ثم انحرف نحو فالنسيا ، حيث دشّن كاتدرائية[*] جديدة ، ومنها إلى

---

[١] د. جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص ٥٦ . ٥٨ بتصرف بسيط .

[٢] د. سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية . ط . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة سنة ١٩٨٢م . جـ١ ص ١٣٣ .

[٣] د. عزيز سوريال عطية : الحروب الصليبية . ص ٣٨ .

[*] كاتدرائية Cathedral : هي الكنيسة التي فيها كرسي الأسقف المحلي.صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص ٣٨٩ .

لي بوي Le puy[١] حيث قام البابا بجولات على ضفاف نهر اللوار في مارس ، وقبل أن يُلقي خطابه في الهواء الطلق في كليرمونت احتفل بعيد السيدة العذراء في ضريحها الكبير في لي بوي [٢] .

كان أدهيمار أسقفًا إصلاحيًا بكنيسة لي بوي ، وكان وثيق الصلة بالبابا أوربان الثاني [٣] ، فهناك أدلة على أن أوربان الثاني اجتمع مع أدهيمار قبل المجلس [٤] . كليرمونت . فقد احتفى أدهيمار بأوربان عند قدومه إلى لي بوي في أغسطس ، ولابد أنهما تحدثا معًا في أمور الشرق [٥] ، ذلك أن البابا أوربان الثاني بمجرد دخوله الأراضي الفرنسية قد ناقش خططه مع أدهيمار أسقف لي بوي ومع ريمون السانجيلي كونت تولوز ، وهذه الاجتماعات لا يمكن القول بأنها كانت سرية ، وربما كانت هناك بعض الحقيقة في حكاية شعبية تقول : إن أيمان القسم الأول التي أقسمت على الذهاب إلى القدس قد أخذت في اجتماع ضم ستة وثلاثين أسقفًا ... فكان هناك على أقل تقدير ، كم من الكلام وخطط أولية قبل وصول البابا إلى كليرمونت . [٦]

---

[١] سعيد أحمد برجاوي : الحروب الصليبية في المشرق . ط . دار الآفاق الجديدة . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م . ص ٨٤.

[2] Jonathan Rily Smithe : the crusades, 1095- 1198. the New Cambridge medieval history , vol, IV, part. I . p. 538.

[٣] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ترجمة د / حسين محمد عطية . ط . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية سنة ٢٠٠١م ، ص ٨٣ حاشية رقم (٣) .

[4] Encyclopedia Britannica . vol, 11 " Adhemar de Monteil " .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٧٤ .

[٦] جوناثان سميث : تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية . ص ٧ . ٨ ، نفس المؤلف : الحملة الصليبية الأولى . ص ٣٣ .

في الكلمة التي ألقاها البابا في ٨ أغسطس ١٠٩٥م/ ٤٨٨هـ أثناء وجوده في لي بوي ، وبحضور أدهيمار ورؤساء الأساقفة والأديرة وحشد كبير من الأهالي أشار البابا إلى تدنيس المسلمين للمقدسات والأراضي المقدسة ، واستشهد بأدهيمار كشاهد عيان على تلك الإهانات [١] ، وحضر مجلس الكنيسة نحو ٢٠٠ من الأساقفة ورؤساء الأديرة ، وطلب أوربان من الأساقفة إحضار نبلاء أبرشياتهم معهم إلى مجلس كليرمونت . [٢]

وهذا يفيد بأن أدهيمار كان من الدعامات الأساسية التي ساعدت البابا أوربان الثاني في الدعوة للحركة الصليبية ، وأنه كان من الشخصيات الرئيسية التي مهدت ودعت لعقد مؤتمر كليرمونت الذي خرجت من رحمة الحركة الصليبية .

وخلال اجتماع أوربان وأدهيمار في بوي في أغسطس سنة ١٠٩٥م/٤٨٨هـ ، أكد البابا لأسقف بوي أنه يمكن الاعتماد في القيادة العسكرية على ريموند سانت جيل[٣] .

فقد كانت البابوية تحافظ على علاقات ممتازة مع ريموند السانجيلي الذي أضاف تباعًا إلى ميراثه مقاطعات تولوز ١٠٨٨م /٤٨١ هـ ، وبلدة لانجدوك Languedoc سنة ١٠٦٦م /٤٥٩هـ [٤] . وهناك رأي آخر يفيد بأن أدهيمار نفسه

---

[١] ستيفن رنسيمان : الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم . ترجمة/ نورالدين خليل . ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م . ص١٥٣.

[2] Jonathan Smith : the crusades, 1095- 1198. the New Cambridge medieval history . vol, IV, Part , 1. p. 534.

[3] John Hugh Gill : Raymond of saint Gilles, speculum . vol, 26, No.2 Apr. , 1951 . p. 266.

[4] Claud Cahen : an introduction to the First Crusade, past and present, No. 6 (Nov., 1954). P. 23 .

نفسه هو الذي اقترح على البابا في لي بوي أن يذهب للتشاور مع ريموند سان جيل[١] حيث كان ريموند في سن النضج ، وذو خبرة وثروة كبيرة ، وكان مقربا من الأسقف أدهيمار . [٢]

كان البابا في لي بوي Le puy عندما أصدر دعوته للمؤتمر إلي كليرمونت وهناك كانت لديه فرصة للتشاور مع الأسقف أدهيمار دي مونتيل[٣] فقد بعث من لي بوي برسائل إلى أساقفة فرنسا والبلاد المجاورة يطلب إليهم الاجتماع به في كليرمونت في نوفمبر ١٠٩٥م / ٤٨٨هـ ، وفي تلك الأثناء توجه نحو الجنوب ليمضي شهر سبتمبر في أفينون [*] وسانت جيل في بروفانس[٤] وعلى الرغم من أن رحلته في موطنه الأصلي . فرنسا . كانت ساحرة إلا أنها كانت مرهقة بالنسبة له ، لأنه كان في حوالي الستين من عمره [٥] ، ولكنه في الوقت ذاته لم يترك لي بوي ، إلا بعد أن اطمأن بأن كل شيء على ما يرام فيما يخص مؤتمره القادم في كليرمونت ، والذي ساعده في التخطيط له رجله المخاص أدهيمار دي مونتيل أسقف لي بوي .

---

(1) Setton : A history of the crusades. Vol, I, p. 234.

(2) Ibid : vol, I, p.338.

(3) Ibid : vol, I, p.234.

(*) أفينون Avignon : منطقة تقع جنوب شرق فرنسا ، كانت العاصمة البابوية في الفترة من (١٣٠٩م) حتى سنة ١٣٧٧م . "Encyclopedia Vritannice" Avignon

(٤) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ١٦٩ .

(5) Jonathan smith :The crusades, 1095 – 1198 the New Cambridge medieval history, vol., IV . part . I . p. 537.

حضور أدهيمار مؤتمر كلير مونت

تمثل المجامع الكنيسة ركنًا هامًا من أركان التنظيم الكنسي في العصور الوسطى ، وكان المقصد منها حلّ المسائل المتعقدة التي صحبت انتشار المسيحية من جهة ولتنظيم شئون الكنيسة وتدعيم سلطانها من جهة أخرى ، غير أن الكنيسة لم تكن أول من ابتكر فكرة المجامع أو صاحبة الفضل في ظهورها ؛ لأنها استمدت هذه الفكرة من سوابق يهودية ووثنية معروفة . (١)

أما عن مجمع أو مؤتمر كليرمونت، فقد غادر البابا أوربان الثاني إيطاليا إلى فرنسا وهو يحمل في ذهنه بعض الأفكار (*) وواصل رحلته ببطء إلى الأقاليم الجنوبية ، وهنا دعا إلى عقد مجمع كنسي في كليرمونت في إقليم برجاندي عام ١٠٩٥م / ٤٨٨هـ ، وكانت المهمة الرئيسية لهذا المجمع الكنسي إصلاح الكنيسة الفرنسية ، وحل المشكلة الشائكة المتعلقة بالملك الفرنسي فيليب الأول الذي تعرض لعقوبة الحرمان الكنسي ، لارتكابه جريمة الزنا مع إحدى عشيقاته (٢) ، فقد كان البابا أوربان الثاني شديد اللهفة لمعرفة السبيل الذي يسلكه للقضاء على الرذائل والخطايا الفاحشة التي كانت للأسف . على حد قول وليم الصوري . تزداد بشاعة

---

(١) د. سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطي . جـ ٢ ص ١٠ .

(*) من بين الأفكار تقديم الدعم العسكري للأمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول ضد السلاجقة الأتراك ، بناء على سفارة الإمبراطور البيزنطي إلى مجمع بيكانزا Piacenza في مارس ١٠٩٥م New Catholic encyclopedia. Vol. 14. pp 335 – 336.

(٢) يوشع براور : الاستيطان الصليبي في فلسطين . ترجمة د/ عبد الحافظ البنا . ط . دار عين . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م ، ص ٢٠ .

حتى لتكاد أن تبتلع الدنيا بأجمعها ، لذلك عزم على الدعوة لمجمع عام[١].

أثناء الإعداد لمؤتمر كليرمونت بدأت فكرة الحرب الصليبية بمفهومها الديني وبأبعادها السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية تختمر في ذهن البابا [٢] فترجع مسئولية الحركة الصليبية إلى البابا أوربان الثاني ، ففي ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م / ٤٨٨هـ ، في مؤتمر كليرمونت ألقى خطابه الذي أدى إلى حمل عدد كبير من الآلاف للصليب [٣] إذ عقد في كليرمونت مجمع مقدس من الأساقفة ورؤساء الأديرة من شتى النواحي والولايات الواقعة وراء جبال الألب ، وحضر هذا الاجتماع أيضًا بعض الأمراء من تلك الولايات [٤] .

كان عدد الأساقفة الذين حضروا مؤتمر كليرمونت اعتمادًا على المصادر الأولى ما بين ١٩٠و ٤٦٣ [٥] ، وكان بين الحاضرين أديمار أسقف لي بوي[٦] وشاع أن أوربان الثاني سوف يعقد جلسة علنية في يوم الثلاثاء ٢٧ نوفمبر ليلقى بإعلان هام ، فاحتشدت جموع القسس والعلمانيين ، وبلغت من الضخامة أن الكاتدرائية التي انعقد بها المجمع لم تتسع لهم ، فتقرر إقامة الكرسي البابوي على منصة مرتفعة تطل على الفضاء ، خارج الباب الشرقي للمدينة ، فلما اكتمل اجتماع

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . ترجمة د / حسن حبشي . ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩١م . جـ ١ ص ٩٨ .

[٢] سعيد برجاوي : الحروب الصليبية . ص ٨٤ .

[3] Dana Munro : The speech of pope Urban II American historical review . Puplished by American historical association vol, 11 . no. 2 (Jan., 1906) p. 230.

[٤] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ ١ ص ٩٨ .

[٥] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ط . دار الفكر العربي . القاهرة . لم تذكر سنة الطبع . ص ٥٢ .

[٦] فوشيه الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس . ص ٣٧ .

الجماهير ، نهض أوربان ليخاطبهم . [١] وهناك عدة روايات من هذا الخطاب ، لكن لا نستطيع أن نثبت أن أي واحدة منها كانت مكتوبة حتى عدة سنوات من انعقاد مؤتمر كليرمونت[٢] .

تلقى الكثيرون ممن حضروا مؤتمر كليرمونت هذه الكلمة الراسخة بفرح عظيم وكان على رأسهم أديمار أسقف بوي [٣] فقد أظهر أدهيمار في مجلس كليرمونت حماسة صليبية كبيرة [٤] ، فلم يكد البابا ينتهي من خطابه حتى نهض من مجلسه ، أسقف لي بوي **Le puy** فركع أمام عرش البابا ، والتمس منه الإذن ليلحق بالحملة المقدسة ، وتزاحم مئات من الحاضرين ينتهجوا مثاله[٥] في حين كانت الجموع المحتشدة تصيح " الرب يريدها " [٦].

بعد ختم البابا أوربان موعظته ، أمر جميع الحاضرين إذ ذاك من رجال الكنائس بالعودة إلى أبرشياتهم ليكرسوا أنفسهم لما سمعوه ، وليسعوا سعيًا حثيثًا لحث أتباعهم على النهوض إلى الحج . [٧]

وقد أصدر مجمع كليرمونت عدة قرارات من شأنها تحسين أداء سير الحملة الصليبية الأولى لضمان نجاحها ، فأصدر المجمع قرارًا بأن كل من يشترك في الحرب المقدسة تغفر له ذنوبه ، فضلاً عن أن ممتلكات الصليبيين ستوضع تحت

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية .جـ١ ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

[2] Dana munro : The speech of pope Urbam II . American historical review , vol, 11, No. 2. (Jan., 1906) p. 231 .

[٣] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٠٧ .

[4] Encyclopedia Britannica. Vol., 11. " Adhemar de Monteil " .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ ١ ص ١٧٢ .

[٦] جوناثان سميث : تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية . ص ٧ .

[٧] وليم الصوري : الحروب الصليبية .جـ١ ص ١٠٥ .

حماية الكنيسة ورعايتها طول مدة غيابهم [١] ووضع أوربان الثاني نص قسم يؤديه المشاركون في الحملة الصليبية ، ومن المؤكد أن القسم كان نذرًا Votum حقًا من أجل القتال في سبيل الله طوال الطريق حتى بيت المقدس ، ولا يمكن الوفاء بهذا النذر إلا بعد الوصول إلى بيت المقدس [٢] .

وفي اليوم التالي من مجلس الأساقفة في كليرمونت تم اختيار أديمار أسقف لي بوي ليكون الممثل البابوي في الحملة الصليبية [٣] حيث اتخذ المجمع قرارًا بالإجماع بأن يكون أسقف لي بوي قائدًا للحملة . [٤]

---

[١] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٣٦.

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ٤٨ . ٤٩ .

[3] The Cambridge medieval history. Vol., V. p. 273.

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٧٤ .

تعيين أدهيمار مندوباً بابوياً للحملة الصليبية الأولى

كان المندوبون على جانب كبير من الأهمية في العصور الوسطى ، إذ كانوا يعقدون مجامع كنسية إقليمية في الجهات التي يقصدونها ، ويفصلون في القضايا الخطيرة التي تستأنف أمامهم ، بحيث لا يستطيع أحد سوى البابا نفسه أن ينتفض قراراتهم ، فكان البابا يعبر عن سيادته بالإكثار من إرسال بعثات من المندوبين البابويين Legati Missi إلى مختلف أنحاء الغرب الأوروبي [١] ، وقد عمل جريجوري السابع نفسه مندوبًا بابويًا في فرنسا وألمانيا في مناسبات عدة قبل انتخابه لكرسي البابوية . [٢]

كانت الحرب الصليبية أداة سلطة البابا ، إنها أعظم الأدوات المتوافرة لدى الملك البابوي ، لكن البابا لم يكن يسيطر عليها تلقائيًا ، فأهمية الحرب الصليبية أنها كانت من الضخامة بحيث إن الصراع على قيادتها كان سمة ثابتة من سمات التاريخ الصليبي [٣] ، والواقع أن أوربان الثاني ، مع أنه فكر في أن يتولى قيادة الحملة شخصيًا ، فقد تخلى عن ذلك لصالح نائب بابوي هو أدهيمار دي مونتيل أسقف بوي [٤] ، فقد كان البابا غير قادر على الذهاب بنفسه لقيادة الحملة ، وقال إنه عيّن مكانه الأسقف أدهيمار ليكون رائدًا لهم ، وأنه يجب على جميع الذين سيذهبون أن يطيعوا أوامر مندوبه ، كما لو كان في وسطهم وفي بلدهم . [٥]

---

[١] د. سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى . جـ٢ ص ٦ . بتصرف بسيط .

[2] Uta – Renate Blumenthal : The papacy, 1024 – 1122. the New Cambridge medieval history . vol., IV. Part,2 . p. 24 .

[٣] توماش ماستناك : السلام الصليبي . ص ١٩٠ .

[٤] ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ص ٥٥ .

[5] Setton : Ahistory of the crusades , vol., I. p. 249.

هذا ولا يوجد أي دليل على أن البابا كانت لديه أي نيّة لاختيار شخص عادي لرئاسة القوات [١] وكان مجلس كليرمونت يتألف من ٣١٠ أعضاء من الأساقفة والقساوسة [٢] ، ومع هذا تم اختيار أدهيمار دي مونتيل مندوبًا عن البابا في هذه الحملة ، على الرغم من وجود كل هذا العدد من رجال الدين في مؤتمر كليرمونت ، وقد ذكر أحد المؤرخين الأوروبيين الحداثة بأن أدهيمار لم يفز بالقيادة إلا لأنه أول من استجاب لدعوة أوربان [٣] أي أن تعيينه نائبًا بابويًا في كليرمونت ، كان وليد الموقف ، لكن الأمر غير ذلك ، إذ يمكن افتراض أن هذه المسألة كانت قيد المناقشة في لي بوي Le puy [٤] والدراسة أميل إلى هذا الرأي إذ لا يمكن أن يتولى هذا المنصب الخطير الذي يتوقف عليه مصير الحملة في كثير من الأمور ، شخصية مجهولة أو مبهمة بالنسبة للبابا أوربان على الأقل بل إن أمر التولية قد تم تدبيره بليل من ليالي لي بوي .

كان في مقدور البابا أوربان الثاني أن يترك أمر قيادة الحملة لمن يرتضيه جمهور الحجاج من المشاركين في الحملة ، لكن لابد أن البابوية كان لها أغراض ما من هذه التولية ، إذ أرادت تحقيق إشرافها وسيطرتها على الحركة الصليبية وعلى الأراضي التي يفتحها الصليبون [٥] لأن الحملة الصليبية حملة بابوية دينية دعى إليها البابا أوربان الثاني ، فلم يسمح بأن تكون قيادتها لأحد من ملوك أوروبا ، أو لواحد من الأمراء الذين ساهموا فيها ، ولكنه وكلَّ القيادة إلى نائبه الأسقف

---

(1) Setton : Ahistory of the crusades , vol., I. p. 249.

[٢] فوشيه الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس . ص ٣١ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٧٤ .

(4) Setton : Ahistory of the crusades, vol, I. p. 234.

[٥] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

أديمار دي مونتيل ، وبذلك اتسمت منذ اللحظة الأولى بالسمة الدينية [١] ، وربما قيل إن هذا العمل من البابا كان تعسفًا ، ولكنه كان في الحقيقة خير ما يكفل للحملة أكبر قسط من عدم التنازع بين هؤلاء الأمراء حول القيادة ، وما قد يؤدي إليه تنازعهم إلى فشل ريحها ، لا سيما وفيهم أصحاب الأطماع الذين كان يعرفهم أوربان الثاني معرفة تامة . [٢]

وقد تجمعت عوامل كثيرة لتجعل الزعامة العسكرية للحملة الصليبية المقبلة لريموند السانجيلي ، على أن تبقى الزعامة الروحية للمندوب البابوي أدهيمار[٣] ، ويمكن حصر الأسباب التي دفعت البابا أوربان الثاني لتعيين أدهيمار مندوبًا عنه في الحملة الصليبية الأولى في النقاط الآتية :

١- أن أدهيمار دي مونتيل ، كان من أصل نبيل ، أي أنه كان إقطاعيًا قبل أن يكون رجل دين ، فهو من أجدر رجال الدين في زمانه على القيادة التي كانت تنحصر في الغالب في الأسر الأوروبية الإقطاعية ، ومن ثم سيكون مسموع الكلمة في جموع الصليبيين ، بالقياس مع غيره من رجال الدين ممن لم تتوفر فيهم هذه الازدواجية بين المال والدين .

٢- أن أحد أسباب اختيار أوربان لأديمار يرجع إلى ماضي هذا الأخير الحافل بالمقدرة والإخلاص للبابوية الكلونية وسمعته في تلك المنطقة التي سيعقد فيها مجمع كليرمونت ، وعلاقته المنسجمة مع ريموند السانجيلي كونت

---

[١] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

[٢] المرجع السابق : ص ٦٨ .

[٣] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ ١ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

تولوز الذي كان يتوقع أن يصبح قائد الحملة العسكري . [١]

٣ـ أن أدهيمار سبق وأن زار الأراضي المقدسة قبل انطلاق شرارة الحملات الصليبية ، وقد ذكر آنفًا أن البابا أوربان الثاني استشهد به وبزيارته هذه أمام جمع رجال الدين في لي بوي للتأكيد على إدعاء تعديات المسلمين على الأراضي المقدسة في فلسطين ، ومن ثمّ كان أدهيمار على دراية تامة بأحوال الشرق ، فمثَّل هذا الأمر أيضًا دافعًا آخر من دوافع توليته مندوبًا بابويًا للحملة الصليبية الأولى .

هذا وقد أمر البابا جمع الذين كانوا في طريقهم إلى أورشليم بطاعة أدهيمار على اعتبار أنه زعيمهم [٢] وقد نص البابا على ذلك الأمر صراحة في خطابه إلى سكان الفلاندرز في ديسمبر ١٠٩٥م / ٤٨٨هـ ، فقال : " عينًا نائبًا عنا قائدًا لهذه الحملة وهذا العمل ، وهو ابننا العزيز أدهيمار أسقف لي بوي ، ويترتب على هذا أن كل من يقرر أن يذهب في هذه الرحلة يجب أن يطيع أوامره كما لو كانت صادرة منا ، ويجب أن يخضع لسلطانه تمامًا في الحل والعقد في أية قرارات صادرة منه ومتصلة بعمله " [٣] وفي الخطاب الذي أنفذه الصليبون إلى البابا لدعوته لتولي قيادة الحملة بعد وفاة أديمار ، اعترافًا صريحًا بالزعامة الدينية وترجيحها على الزعامة الدنيوية [٤] فقد كان أدهيمار يمارس نوعًا من القيادة العليا [٥] .

---

[١] الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس . ص ٨٨ ، حاشية رقم (١٤) .

[2] Setton : A history of the crusades, Vol., I. P. 239.

[٣] د. قاسم عبده قاسم : الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق . ص ٩٠ .

[٤] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص ١٨٥ .

[٥] يوشع براور : الاستيطان الصليبي في فلسطين . ص ٢٥ .

أما عن مهمة أدهيمار في قيادته للحملة واختصاصاته التي حددها له البابا أوربان الثاني ، فقد ترأس أدهيمار العديد من الجيوش التي شاركت في الحملة الصليبية ، واستطاع أن يفرض طاعته على الأمراء لتحقيق رغبات البابا[١] وكانت له سلطة إصدار التشريعات [٢] غير أن أدهيمار كانت لديه مهمة صعبة في السيطرة على العديد من القادة العلمانيين [٣] .

وقد خوّله البابا أوربان الثاني البت في جميع الاختلافات التي قد تنشأ بين الصليبيين [٤] يقول عنه فوشيه الشارتري [٥] : " قاد بحكمته وحسن تدبيره جيش الرب برمته ، والهمه بحزم بأن يؤدي مهمته " غير أنه لم يتوافر له من الحزم والصلابة ما يكفي لضبط السادة الأعيان المشتركين في الحملة ، الذين من المفروض أن يخضعوا لأوامره . [٦]

لقد استطاع أوربان الثاني أن يوّحد شعوب الغرب الأوروبي في مشروع عام ، على الرغم من أن لغات هذه الشعوب وعاداتها المحلية ، واهتمامات أبنائها كانت تختلف اختلافًا بينًا [٧] .

---

(1) James. A. Brundage : Adhemar of puy. Speculum , vol., 34. No. 2. APR., 1959, p. 201.

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ١٤٦ .

(3) Setton : Ahistory of Crusades, Vol., I, p. 250.

[٤] د. أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى. جـ٢ ص ٢٦٥ .

[٥] تاريخ الحملة إلى القدس : ص ٣٧ .

[٦] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية .جـ١ ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

[٧] د. قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ص ٢٤ .

وأخيرًا تم اختيار ١٥ أغسطس ١٠٩٦م / ٤٨٩هـ ، كتاريخ محدد لرحيل أدهيمار ، وتم إعلان الآخرين للاستعداد لهذا اليوم [١] حين تكون المحاصيل قد جمعت من الحقول ، أما مكان اللقاء فكان هناك في مدينة القسطنطينية الحصينة على ضفاف البسفور [٢] وموقعًا لتجمع الصليبيين الفرنسيين هو لي بوي [٣] .

(1) The Cambridge medieval history , vol. V. p. 274 .

[٢] د. قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية . ص ١١٣ .

[٣] ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ص ٦٣ .

استعداد أدهيمار للانطلاق إلى الشرق

لم يقتصر البابا أوربان الثاني في الدعوة للحملة الصليبية في مؤتمر كليرمونت ، بل تعددت المجامع التي خطب فيها من أجل حمل القوم على الانخراط في الجيش الماضي إلى فلسطين ، وراح يذرع أرجاء فرنسا عاقدًا المجامع مكرزًا للدعوة التي استولت على نفسه [١] فبعث البابا برجال الكنيسة إلى شتى أنحاء الجنوب والغرب الفرنسي ، وطلب منهم الدعوة للحملة في هذه المناطق فتولى الدعاة البابويون نشر الدعوة في كل مكان وساعدهم المبشرون الشعبيون في إذكاء نار الحماسة الصليبية [٢] غير أن أشد التبشير تأثيرًا كان ما قام به الرهبان ورجال الدين . [٣]

وقد صاحب أدهيمار دي مونتيل أسقف لي بوي البابا أوربان الثاني خلال جولته في جنوبي فرنسا ، وكان أول من قدم العهد بين يدي البابا بالذهاب إلى الشرق [٤] ، وبعد رحيل البابا أوربان الثاني من فرنسا ، تبادل الرسائل مع الأسقف أدهيمار أسقف لي بوي [٥] فعمل أدهيمار على الإعداد التمهيدي لإنطلاقه إلى الشرق ، وبدء فعاليات الحملة الصليبية الأولى فأخذ أدهيمار في حث الأوروبيين على الانخراط في ركاب الحملة الصليبية الأولى ، وقد حقق في ذلك الشأن نجاحات كبيرة سجلتها له بعض المصادر والمراجع الأوروبية .

---

[١] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص ٥٢ .

[٢] د. قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ص ١١٦ ـ ١١٧ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية.جـ١ ص ١٧٩.

[٤] ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ص ٥٥ .

[٥] جوناثان سميث : تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية . ص ٥٧ .

كان من هذه النجاحات في إقناع البعض في الانخراط في سلك الحملة الصليبية الأولى ، أن فرسان قلعة مزنك Mezenc ـ جنوب فرنسا . وهم : بطرس بستركيوس Peter Bastarcius وبونزا Ponsa وبرتران Bertrand كانوا يمارسون العنف والقسوة والظلم تجاه القرويين التابعين لرئيس دير القديس شفر اللومونستياوي St. Chaffre of lemonstier ثم أعلنوا رسميًا تخليهم عن كل أعمال السلب والعنف مقابل مبلغ من المال ، ولأنهم نذروا أنفسهم للانضمام إلى الحرب الصليبية ، وحصلوا على الغفران من الأسقف منذ Mende والأسقف أدهيمار اللوبوي Adhemar of le puy بنفسه الذي : "كان مندهشًا لشدة وحشيتهم ، غير أنه غفر لهم ذنوبهم بسبب ذهابهم ضمن حملة عسكرية إلى بيت المقدس وبسبب إعلانهم عن ندمهم " [١] ، وهكذا قام أدهيمار بتنفيذ قرارات مؤتمر كليرمونت بمنح الغفران لكل من يريد الذهاب في الحملة المقدسة حتى وإن كان من اللصوص وقطاع الطرق المتوحشين ، فما أحوج الصليبيين لهذه الوحشية لتصفية أهل الشرق .

ومن الإعدادات الأخرى التي قام بها أدهيمار قبل انطلاقه للشرق ، التزامه بالزي والشعار العام للحركة الصليبية ، فما أن سمع الفرنجة عظته . أي البابا أوربان الثاني . هذه حتى بادروا بكل سرعة إلى وضع علامة الصليب كل منهم على كتفه الأيمن [٢] حيث اتفقت الآراء جميعًا على قبول ما اشترطه البابا من قيام كل من أقسموا على السفر لهذا الحج برسم شارة الخلاص على ثيابهم ألا وهو الصليب

---

[١] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى. ص ٧٥ .

[٢] مجهول : يوميات صاحب أعمال الفرنجة ، المعروف بالجستا . ترجمة د / سهيل زكار . نشر ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . ط . دار الفكر . دمشق . سوريا سنة ١٩٩٧م . جـ ٦ ص ٧٩ .

الزاهي [١] كعلامة أو إشارة من وظيفتهم لاتباع المسيح [٢] وكان أدهيمار أول من أخذ شارة الصليب [٣] .

وقد ذكر وليم الصوري قائمة باسماء القادة الصليبيين الذين رسموا شارة الصليب على ملابسهم قبل انطلاقهم إلى الشرق فقال [٤] : " عمد الأمراء التالية أسماؤهم إلى تقوية عزائمهم بعلامة الصليب ارتباطًا منهم بالحج القادم : السادة المشاهير ، هيج الكبير شقيق فيليب الأول ملك الفرنجة . فرنسا . وروبرت كونت فلاندرز [*]... وأديمار أسقف بوي مع آخرين وغيرهم من الرجال العظماء".

وأتخذ أدهيمار لنفسه راية خاصة كان يُعرف بها من بين جيوش الحملة الصليبية الأولى ، فعندما عبرت جماعة أدهيمار آسيا الصغرى ، كانت تحمل راية عليها صورة العذراء مريم [٥] وكان حامل راية أدهيمار ، هو هيرقليوس البولياكي Heraclius of Polignac [٦] وقد أصيب في إحدى معارك الحملة في الشرق في وجهه بسهم وقُتل . [٧] عمل أدهيمار دي مونتيل على تكون حاشية خاصة به قبل

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ٧٩ .

[2] Setton : Ahistory of crusades , vol. I, p. 239.

[٣] جوناثان سميث : تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية . ص٧ .

[٤] الحروب الصليبية: جـ١ص ١٠٩ .

[*] روبرت النورماندي Robert of Normandy : هو ابن وليم الكونكورور ، وهو شقيق الملك وليم رافز William Rufus وهو القائد الأخير في أوائل الجيوش المتوجهة إلى الأراضي المقدسة .

History of the knights tampler the privy Journal , 1 st, 2001. p .7.

[٥] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ١٨٩ .

[٦] المرجع السابق : ص ٢١٢ .

[٧] ريموناجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس .ص ٢٠٣ .

انطلاقه إلى الشرق ، كان في مقدمتها أشقاء أدهيمار نفسه ، فقد لعبت الأواصر العائلية دورًا حاسمًا في اتخاذ قرار المشاركة في الحملة الصليبية ، وتتوافر أمثلة عديدة لذلك ، من أشهر العائلات إلى أكثرها تواضعًا ، ففي عام ١٠٩٦م / ٤٨٩هـ ، نجد النائب البابوي أدهيمار أسقف بوي يأخذ معه أخاه وليم هيو دي مونتيل [١] ورحل معه أيضًا شقيقه الشاب فرانسيس ليمبارت أوف مونتيل Francis Lambert of monteil[٢] هذا فضلاً عن كل رجاله . [٣]

على الرغم من عدم وجود دليل على أن أدهيمار قد سبق له حمل السلاح فمن المؤكد أنه كان لديه قوات تحت إمرته [٤] ، فقد كانت الإمدادات بالجنود في الأساس من مهمة رجال الدين ، وكانت العمليات الحربية في الغالب أيضًا تحت سيطرتهم [٥] وكان لأدهيمار حاشية خاصة من الكهنة (*) والقساوسة [٦] فقد صاحب أدهيمار في هذه الحملة برنارد أسقف أرتاح من أهل فالنسيا [٧] ، فقد غادر غادر عشرة أساقفة أبرشياتهم في غرب أوروبا على الأقل .. وكان هناك عدد كبير من القساوسة يمكن حصر أسماء ثلاثين منهم ، وارتبط معظم القساوسة والأساقفة

---

[١] ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني. ص ٦٤ ، ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ص ٢١٩.

[3] History of the knights Tampler, the privy Journal. 1 st, 2001. p. 10.

[٣] رنيسمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٤٤ .

[٤] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى. ص ١٥٣ .

[6] D.S. Chambers : popes, cardinals and war, p. 12.

(*) الكهنة Priests : هم مندوبون لبعض الوظائف في خدمة شعب الله ، وهم يعملون تحت سلطة المطران المحلي .. صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص ٣٩١ .

[٦] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى. ص ١٤٧ .

[٧] وليم الصوري : الحروب الصليبية .جـ١ ص ٤٢٠ .

بالأمراء (*) وعملوا معهم كمساعدين لهم أو تابعين لهم . (١)

أما عن استعداد أدهيمار دي مونتيل لتوفير الدعم المالي لنفسه وحاشيته قبل انطلاقه إلى الشرق ، فيجب القول بأن فرنسا كانت تعاني معاناة شديدة من نقص الأموال ، لذا فإن الأموال التي تم جمعها حتى عام ١٠٩٦م/ ٤٨٩هـ كانت قليلة (٢) فلم يكن في قدرة أي اقليم أن ينفرد وحده بتوفير المئونة لهذه الآلاف المؤلفة من الناس فرتبوا ترتيبًا دقيقًا بأن يقوم كل واحد من الأمراء الكبار بالسير على انفراد بمن تبعه من القوات ، ويسلك طريقًا لا يسير فيه سواه ... فاتخذ كونت تولوز وأسقف بوي طريقهما عبر (دلماشيا)(**) وأعدوا في الوقت ذاته العتاد الذي رأوه كافيًا لرحلة طويلة كهذه الرحلة ، وراح كل منهم يقدر المال الذي تتطلبه هذه السفرة بما يتناسب وطول الطريق . (٣)

(*) كان الفارس العادي في أوروبا حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري متوحشًا همجيًا متعطشًا للدماء ، بيد أنه في الوقت نفسه كان متدينًا على طريقته الخاصة ، إذ كان حريصًا على خلاص روحه ، وله قسيسه الخاص الذي يقوم بعمل الطقوس له ، ويستمع إلى اعترافاته . د . قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ص ٨٤ .

(١) جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى. ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق : ص ٨٦ . ٨٧

(**) دلماشيا : هي موطن السُلاف ، وكان يطلق عليها ريموناجيل في كتابه اسم سكلاقونيا . تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص ٥٥ حاشية رقم (٤) .

(٣) وليم الصوري : الحروب الصليبية ١جـ ص١١١ .

كان أكبر جيش في الحملة الصليبية الأولى جيش ريموند كونت تولوز الذي كان يرافقه المندوب البابوي أدهيمار أسقف لي بوي ، وكان ريموند أعظم قادة جنوبي فرنسا ، وأغنى من جميع قادة الحملة (*) ، ووفقًا لأقوال المؤرخين فقد ساعد العديد من الجنود الفقراء لتجهيز أنفسهم للرحلة (١) ولم ينته ريموند من تسليح جيشه سوى في شهر أكتوبر ١٠٩٦م / ٤٨٩هـ (٢) فقد كان الانضمام إلى حملة صليبية يتطلب نفقات باهظة وتضحيات مالية كبيرة ، وكانت الأعباء على العائلات أشد وطأة إذا ما اختار عدة أفراد بها الذهاب مع الحملة الصليبية ، وكان ذلك أمرًا شائعًا ، وهناك أمثلة مشهورة لذلك ، ومن أبرزها ، أدهيمار اللوبوي ، ووليم هيو المونتيلي (٣) .

وقد سنّ البابا والأساقفة التشريعات التي تحرم كنسيًا هؤلاء الذين يعارضون تقديم الهبات، والافتداء (بمعنى آخر بيع الممتلكات وإجراء الرهونات) وهي أمور كان لابد منها عند رحيل الصليبيين (٤) فكانت الصلاة المشفاعية المصحوبة بالخوف هي التي دفعت الصليبيين لتقديم الهبات إلى الأديرة قبل رحيلهم ، فقد قدم ريموند السانجيلي هبة شخصية إلى كاتدرائية لي بوي Le puy شريطة أن تظل

(*) ظل ريموند السانجيلي أغنى رجل بين الصليبيين ، ربما استفاد ريموند من الإعانات المالية التي قدمتها الإمبراطورية البيزنطية للصليبيين ، وربما كان مال الكنيسة تحت تصرفه بعد موته أدهيمار . وازدياد أعداد رفاق أدهيمار . جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى ص ١٣٠ . ١٣١ ،

(1) Setton : A History of the crusades, Vol.1 , p. 272.

(٢) د. قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ص ١٥٦ .

(٣) جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ٨٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٤ .

شمعة موقدة أمام تمثال العذراء مريم في الكاتدرائية المذكورة باستمرار ، وأن يتم انشاد قُداس(*)الموتى مرة واحدة كل عام بعد موته في الكنائس الأخرى التابعة للكاتدرائية ، وأن تتم تلاوة الصلوات طيلة الحياة من أجله[١] . وبما أن مطالب ريموند السانجيلي الدينية من كاتدرائية لي بوي كانت كثيرة . كما ذكر آنفًا . فمما لا شك فيه أن هبته لكاتدرائية لي بوي كانت كبيرة أيضًا ، فمن الجائز أن يكون أدهيمار دي مونتيل قد استغل جانبًا كبيرًا من هذه الهبة في إعداد رجاله استعدادًا لانطلاق حملته الصليبية إلى الشرق .

لحق أدهيمار بالجيوش الكبيرة التي تكونت أساسًا من الفلاحين الذين كانت حركاتهم تتم عادة تحت قيامة رؤسائهم المحليين التقليديين أي سادتهم من النبلاء [٢] حيث وطّن ريموند السانجيلي نفسه على أن يتعاون في إخلاص مع أدهيمار [٣] وعمل معه بوضوح في إنجاز المخطط البابوي [٤] يقول وليم الصوري عن كونت تولوز وأدهيمار أسقف لي بوي [٥] : " تلازم هذان الرجلان العظيمان منذ مستهل

(*) القدّاس Mass عند الكاثوليك والأرثوذكس ، ذبيحة جسد المسيح ودمه ، وأطلق على القداس فى الماضي عدة أسماء : كسر الخبز (القرن الأول) ، والإفخارستيا (القرن الثاني) ، والقربان (القرن الثالث) ، أما اليوم فإنه يحمل أسماء أخرى كالذبيحة الإلهية والأسرار المقدسة . صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص٣٧١ .

[١] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ٧١ .

[٢] يوشع براور : عالم الصليبيين . ترجمة د / قاسم عبده قاسم . ط . دار المعارف . الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م . ص ٥١ .

[٣] رنيسمان : تاريخ الحروب الصليبية . ج١ ص ١٧٥ .

[4] John Hill : Raymond of saint Gilles, speculum medieval academy of American, vol, 26, No. 2 (APR. , 1951) p. 266.

[٥] الحروب الصليبية ج١ ص ١٧٦ .

السير ، وظلا جنبًا إلى جنب بجيوشهما فكانا رفيقي رحلة لم ينفصل أحدهما فيها عن الآخر ، وكان في ركابهما رجال بارزون من علية القوم خُلقًا ومكانة " ، بل إن هناك تشبيه لأدهيمار وريموند بموسى وهارون . عليهما السلام . وهو ما يمكن فهمه من قيادتهما المزدوجة للحملة الصليبية الأولى [١] فكان أدهيمار أسقف لي بوي هو الممثل للكنيسة الرئيسية في الجيش ، لكن القيادة العسكرية في الواقع كانت تابعة لريموند كونت تولوز [٢] لكن هذا لم يكن يمنع رهبان الصليبيين وكهنتهم واساقفتهم من حمل السلاح ، حيث كانوا يخوضون المعارك ويسفكون الدماء [٣] ومن بين هؤلاء الصليبيين أدهيمار دي مونتيل الذي كان يخوض غمار الحرب ويسفك الدماء باسم المسيح وهو ما سيتضح جليًا فى ثنايا هذا البحث .

(1) John Hill : Raymond of saint Gilles, speculum, vol, 26, No. 2 (APR. , 1951) p. 266.

(2) The Cambridge medieval history , vol. V. p. 273.

[٣] د. أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى جـ٢ ص ٣٠٣ .

أدهيمار في طريقه إلى القسطنطينية

قبل إنطلاق الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق ، كان ملوك أوروبا العظام ثلاثة هم : الإمبراطور هنري الرابع ، ووليم روفس من انجلترا ، وفيليب الأول ملك فرنسا ، وجميعهم كانوا محرومين من الكنيسة في ذلك الوقت ، ولذلك لم تكن للجيش الذي تجمع سلطة عليا موحدة ، ولكنه كان مجموعة من الفرق تخضع كل منها لقائد [١] ، وقد تألفت الحملة الصليبية الأولى من جماعتين إحداهما فئة العامة التي استجابت دون تقدير الظروف لدعوة بطرس الناسك [*] ولم تتسم هذه الفئة بالنظام ولا الإدراك الحقيقي لما هو قادمة عليه ، ومن ثم فشلت ريحها وانتهت إلى ما يشبه الانتحار الذي ساقه إليها عدم النظام ، أما الجماعة الأخرى فكان قوامها الأمراء الإقطاعيون سواء أكانوا فرنسيين أم إيطاليين أم نورمانديين وقد استعدت هذه الجماعة للحملة بالسلاح والأموال والرجال والعتاد . [٢]

بارحت تلك الحملة ـ النظامية ـ الغرب في أكتوبر سنة ١٠٩٦م / ٤٨٩هـ [٣] فدخل الجيش الثاني من الصليبيين دلماشيا بصحبة ريموند كونت صنجيل وأسقف

---

[١] د. عزيز سوريال عطية : الحروب الصليبية . ص ٣٩ ـ ٤٠ .

[*] بطرس الناسك peter the hermit : واعظ الحملة الصليبية الأولى ، ولد في إميان سنة ١٠٥٠م وتوفى في ٨ يوليو ١١١٥م ، كان قصيرًا داكنًا ، ولم يكن حاضرًا عندما أعلن البابا أوربان الثاني عن الحملة الصليبية الأولى ، لكنه بعد ذلك بوقت قصير كان يدعو إلى الحملة الصليبية في جمهور المتحمسين في شمال فرنسا .

New Catholic Encyclopedia. Vol, 11. p. 207.

[٢] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص ٦٤ .

[٣] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٥٧ .

لي بوي المبجل أدهيمار [١] حيث أفضى بهم السير إلى أرض دلماشيا ، وارضهم مكسورة كلها بالغابات ، وتشقها الأنهار الكبيرة ، وتحفل بالمراعي الفسيحة ، ومن ثم تقل بها الحقول إلا ما تناثر منها هنا وهناك ، وسلوكهم هو سلوك المتبربرين ، إذ لما دخل الكونت وأسقف بوي ورجالهما هذه الولاية ـ دلماشيا ـ صادفهم كثير من الصعاب على طول الطريق ، لا سيما بسبب طبيعة الإقليم الوعرة ، واقتراب فصل الشتاء ، كما ظلوا بضعة أيام يكابدون وطأة المجاعة لقلة ما عندهم من الطعام والمئونة ، ولما طالع الأهالي وجوه القوم فزعوا فزعًا شديدًا حملهم على ترك مدنهم ، وظلوا يتابعون خلسة آثار الجيش الزاحف ، ويفتكون بمن ترميه الأقدار في أيديهم من المرضى والمسنين والعجائز من النساء ، ممن لم تسعفهم قواهم وخطاهم البطيئة بملازمة بقية القوم . [٢]

يبدو أن السمعة السيئة التي سبقت الصليبيين إلى هذه الأنحاء جعلت السكان يعزفون عن مساعدة جيش ريمون سواء ببيع المؤن أو بإرشاد جنوده على الطريق ، وعانى هذا الجيش من وعورة البلاد وقسوة الشتاء ، وعاني الجيش من مجاعة قاسية لعدة أيام بسبب نفاذ المؤن[٣] ، كان المواطنون الدلماشيون على دراية تامة بالإقليم ، فراحوا يتابعون الجيش وهم على القمم الشاهقة وفي الغابات الكثيفة ، وكثيرًا ما كانوا يبرزون فجأة من الغابات لمهاجمة الحجاج العزل من السلاح ، غير أن الكونت ريموند السانجيلي ومن معه من القادة طالما قاموا أيضًا من جانبهم يردون على هجماتهم عليهم بمثلها ، وظل الحجاج ثلاثة أسابيع متتالية

---

[١] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص ٧٥ .

[٢] وليم الصوري : الحروب الصليبية جـ١ ص ١٧٧ ـ ١٧٨ بتصرف بسيط .

[٣] د. قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ص ١٥٧ .

يعبرون هذا الجزء من الإقليم وهم في كرب وضيق[١] وفي النهاية تمكن الجيش من عبور دلماشيا ، يقول ريموندا جيل عن ذلك [٢] : " وعبرنا دلماشيا دون خسائر بسبب الجوع أو الصراع المكشوف ، برحمة الرب ، وبأعمال الكونت ومشورة أدهيمار " .

ثم دخل الجيش أراضي الصرب والكروات مع كل من ريموند الصنجيلي وأسقف بوي [٣] فأخذت المؤن في النفاد ، فاجتمع ريموند مع الأمير الصربي (بودين) الذي وافق بعد أن حصل على هدايا قيمة . على أن يسمح للصليبيين بأن يشتروا ما شاءوا من أسواق مدينة (اسكودرا) ، غير أنه لم يتيسر لهم الحصول على المؤن ، وكان لزامًا على الجيش أن يمضي في طريقه ، وقد أشتد به الجوع والبؤس حتى وصل إلى الحد البيزنطي ، شمال دورازو [*] وكان كل من ريموند وأدهيمار يأمل في أن تنتهي عندئذ المتاعب [٤] بعد مسيرة أربعين يومًا داخل أراضي دلماشيا كابد فيها كل الصعاب . [٥]

بعد أن استراح الجيش أيامًا في دورازو ، استأنف المسير على أنه تخلف عن المسير مع الجيش شقيق أدهيمار ، سيد بيرينز ، حتى تم شفاؤه من مرض ألمّ

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية جـ١ ص ١٧٩ .

[٢] تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص ٦٠ .

[٣] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية جـ٦ ص ٨١ .

[*] دورازو Durazzo : هي إحدى المدن البيزنطية ، وتقع على الساحل الشرقي للأدرياتي جنوب سكوتاري ، وقد وصل إليها الصليبيون في أوائل فبراير ١٠٩٧م . ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بين المقدس . ص ٦٥ ، حاشية رقم (١٨) .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٤٥ .

[٥] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٧٩ .

به نتيجة متاعب ومخاطرات السفر [١] ، وفي هذا الإقليم تم وقوع الأسقف أدهيمار دي مونتيل في الأسر ، يقول ريموندا جيل عن هذا الحدث [٢] : " مما زاد من متاعبنا أننا كنا في أحد الأيام في وادي بيلاجونيا [*] عندما أسر البجناك [**] أسقف لي بوي الذي ابتعد عن المعسكر قليلاً بحثًا عن مكان مريح ليقيم فيه ، فأنزلوه من على بغله وجرّدوه من ملابسه وضربوه على رأسه بشدة ، ولكن أحد البجناك في سعيه وراء ذهب أدهيمار أنقذه من زملائه من قطاع الطريق وعندما سُمعت الجلبة في المعسكر ، هجم الصليبيون وأنقذوا الأسقف من البجناك الذين لم يسرعوا بالإجهاز عليه " ، وقد هوجم أدهيمار في منتصف فبراير سنة ١٠٩٧م / ٤٩١هـ . [٣]

لو قدر لمحاولة الأسر هذه أن تتم لكان من الممكن أن يتغير مصير الحملة الصليبية الأولى بالكامل ، نظرًا للاختلافات بين قادتها ، ونظرًا لمكانة المندوب البابوي أدهيمار دي مونتيل في قلوب الصليبيين فقد عبر عن الفرحة بهذه النجاة

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٤٦ .

[٢] تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس : ص ٦٩ .

[*] ببلاجونيا Pelagonia : منطقة تقع إلى الشمال الغربي من مقدونيا . المصدر السابق : ص ٧٣ . حاشية رقم (١) .

[**] البجناك أو البشناق Pechenegs : قبائل بدوية من أصل تركي ، وعندما اندلعت الحرب الأهلية داخل الإمبراطورية البيزنطية على أثر خلع الإمبراطور ميخائيل السابع (١٠٧١ . ١٠٧٨م) أتيحت الفرصة أمام البشناق وحلفائهم من قبائل الأوز Uzes لنهب الأراضي البيزنطية في البلقان ، وكان هذا هو الحال عندما تولى أليكسيوس كومنين العرش . د . قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية . ص ٨٤ . ٨٥ .

[٣] بطرس تودبيود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص ١٠٢ . حاشية رقم (٤٣) .

بعض المؤرخين الأوروبيين مثل بطرس توديبود الذي يقول عن ذلك[١] : " ولأن هذا الكنسي العظيم لم يكن عنه غنى لعدالة الرب ، فقد نجا برحمة من الرب " .

واصل الجيش الصليبي زحفه حتى وصل إلى تسالونيكا Thessalonica في شهر أبريل ١٠٩٧م / ٤٩١هـ حيث كان أدهيمار لم يشف من إصابته فقرر انتظار شقيقه هيو اللمونتلي Hugh of Monteil الذي تأخر في دورازو بسبب المرض [٢] ، فتخلف أدهيمار عن الجيش ، وظل بسالونيكا حتى لحق به أخوه ، قادمًا من دورازو ولو لم يكن وأدهيمار من سلطان قوي في ضبط العساكر ، لإزداد حال الجيش سوء ، غير أنه لم يحدث ما يكدر الصفو [٣] وتابع العسكر بعد ذلك مسيرتهم ثانية فعبروا سالونيكا ، وكل بلاد مقدونيا ، وظلوا يتابعون زحفهم المضني عدة أيام حتى بلغوا مدينة (رودستو) البحرية المطلة على البسفور ، والتي تبعد عن القسطنطينية ميسرة أربعة أيام [٤] فاحتشد جيش ريموند في رودستو ، وقد ضعفت روحه المعنوية في انتظار قدوم أدهيمار أسقف لي بوي ، ليتولى قيادته إلى القسطنطينية . [٥]

بينما كان القادة الصليبيون على مقربة من القسطنطينية ، إذ برسول يصلهم من كونت تولوز وأسقف بوي ينبؤهم بأنهما على مقربة منهم ، وأنهما سرعان ما سيدخلان المدينة [٦] غير أن ريموند السانجيلي وصل إلى القسطنطينية

---

[١] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس : ص ٧٩ .

[2] Setton : A history of the crusades. Vol, 1. p. 274 .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٤٦ .

[٤] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٨١ .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٤٩ .

[٦] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٧٦ .

قبل الأسقف أدهيمار ، يقول ريموندا جيل عن ذلك [١] : " في ذلك الوقت وصل جيشنا إلى القسطنطينية ، وبعده جاء الأسقف مع أخيه ، الذي كان قد تركه مريضًا في دورازو " ، وبدأت الجيوش الأكثر قوة في الوصول إلى القسطنطينية أواخر سنة ١٠٩٦م / ٤٨٩هـ ، وأحد الجيوش بقيادة جودفري [*] دوق اللورين الأدنى وأخيه بلدوين ، وصل عن طريق البر عبر المجر ، وثمة جيش آخر هو جيش ريمون كونت تولوز عن طريق شمال إيطاليا ، ومعهم أدهيمار أسقف لي بوي الذي عينه أوربان الثاني لتوجيه الحملة [٢] ، ومن مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية بدأت فعاليات الحملة الصليبية الأولى.

---

[١] تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس : ص ٧١ .

[*] جودفري : هو جودفري البويوني أو الملتحي ولد نحو عام ١٠٦٠م وهو الابن الثاني للكونت أوستاش البويوني الذي ينتمي من خلاله إلى السلالة الكارولنجية . ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ص ٧٤ .

[٢] موريس كين : حضارة أوروبا العصور الوسطى . ص ١٠٩ .

دور أدهيمار في حل الخلافات بين الإمبراطور البيزنطي وقادة الصليبيين

وصل ريموند السانجيلي إلى القسطنطينية قبل جيشه ، فأقام خارج أسوار المدينة ومنح الاحترام وقدمت له الخدمات [١] إذ نزل بقصر خارج أسوار المدينة غير أنه لم يلبث أن جرت دعوته للقدوم إلى القصر الإمبراطوري ، حيث عرض عليه أن يحلف يمين الولاء ، لكن ريموند ساءه الموقف الذي وجده بالقصر ، إذ أن الهدف الذي لم يحد عنه أبدًا ، هو أن يجري الاعتراف به قائدًا عسكريًا لكل الحملة الصليبية ، غير أن سلطته الراهنة إنما استمدها من البابا ومن صلته بممثل البابا أدهيمار أسقف لي بوي ، على أن الأسقف أدهيمار كان غائبًا ، ولذا افتقر ريموند إلى ما قد يناله من تأييد ونصيحة لو كان الأسقف حاضرًا ، ولم يشأ ريموند أن يلتزم بشي في غياب الأسقف [٢] الذي كان قد تخلّف إذ ذاك مع بقية الجيش في بلاد اليونان لوعكة ألمت به . [٣]

لم يتردد الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين [*] في بذل مبالغ طائلة وثروات هائلة بغية أملاء ارادته عليهم ، وبوصفه إمبراطورًا للدولة الرومانية الشرقية ، لم يقبل معاملة رؤساء الفرنج له ، وهم دونه في المرتبة ، معاملة الند

---

(1) History of the Knights tampler , the privy Journal, 1 st. 2001. p.10.

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٤٨ .

[٣] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص ٧٧ .

[*] أليكوس كومنين Alexius 1 Comnenus : ولد سنة ١٠٥٧م في القسطنطينية ،وهو الابن الثالث للإمبراطور يوحنا كومنين ، ظل إمبراطورًا لبيزنطة من سنة ١٠٨١م حتى وفاته سنة ١١١٨م .

Encyclopedia Britannica " Alexiusi Comnenus".

للند ، لذلك طلب إليهم أن يقسموا له يمين التبعية والولاء ، وهو قسم يقارب ما يؤديه المسود للسيد عن إقطاعه في غرب أوروبا [١] ، وبعد مفاوضات صعبة نجح الإمبراطور البيزنطي في الحصول من القادة على يمين ولاء ، ولم يرفض تقديمه غير ريموند السانجيلي الذي لا يؤيد أن يكون تابعا لسيد آخر غير المسيح[٢] .

إضافة إلى ما سبق من مبررات لريموند السانجيلي في عدم حلفه يمين الولاء للإمبراطور البيزنطي ، أنه حدث بعد دخوله إلى القسطنطينية أن نشبت معركة بين قواته وبين الجيش البيزنطي في ظروف يشوبها الغموض ، وقد مُني الفرنج بهزيمة شديدة . ولما علم كونت تولوز بالكارثة التي لحقت بقواته ، وكان قد وصل إلى القسطنطينية استاء كثيرًا واستبد به الغضب ، وقد ترك هذا الحادث أثره في نفس سان جيل ، وفي موقفه من الإمبراطور عند مقابلته إياه ، أو لعله اتخذه ذريعة للتشدد في موقفه من الإمبراطور البيزنطي [٣] ذلك أنه كان يطمع في الحصول على زعامة الصليبيين جميعًا في الشرق ، لكن هذه الزعامة التي اعتمدت على تأييد البابوية لا يمكن أن تتفق ويمين الولاء للإمبراطور البيزنطي ، فتأزم الموقف بين ريموند من جهة والإمبراطور ألكسيوس من جهة أخرى ، مما أنذر بحدوث صدام مسلح بين الطرفين . [٤]

أصر ريموند على موقفه ، ولكنه وجد في النهاية أن تشبثه سوف يضر بالهدف الصليبي الذي جند اللاتين له كل إمكانياتهم ، وفي هذه الأثناء وصل إلى العاصمة بقية الجيش البروفنسالي وعلى رأسه الأسقف أدهيمار ، وأخذ كل من

---

[١] د. جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص ١٢٧ .

[٢] ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ص ٨٦ .

[٣] جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص ٢١٠ .

[٤] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص ١٥٨ بتصرف بسيط .

جودفري وكونت الفلاندرز على عاتقيهما إفهام سان جيل أن عناده سيؤثر تأثيرًا سيئًا على الحرب الصليبية [١] زاد بوهيموند [*] بأنه إذا أقدم كونت تولوز على ارتكاب أي عدوان ضد الإمبراطور ، فإن بوهيموند سيقف بنفسه ضده إلى جانب الإمبراطور [٢].

إن البابا أوربان الثاني أوفد الصليبيين في مهمة تهدف إلى التعاون بصدق مع ألكسيوس كومنين[**] وكان أدهيمار دي مونتيل وريموند كونت تولوز اللذين أرسلهما البابا بالقيادة الحملة الصليبية قد حاولا القيام بمهمتهما بإخلاص على النقيض من الانحرافات التي قام بها الصليبيون الآخرون [٣] فحاول الأسقف أدهيمار التوفيق بين الإمبراطور وسان جيل [٤] فقام أدهيمار بالتفاوض مع ألكسيوس الأول كومنين في القسطنطينية . [٥]

ولا نعلم كثيرًا عن نواحي نشاط أدهيمار في القسطنطينية ، ولعله اجتمع برجال الكنيسة اليونانية ، ومن المحقق أنه أجتمع بالإمبراطور ألكسيوس ، وكانت

---

[١] د. جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص ٢١٢ .

[*] بوهيموند : ولد بوهيموند بين عامي ١٠٥١م و ١٠٥٨م وهو ابن لوربير جيسكار الدوق النورماندي على أبوليا وكالابريا . ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ص ٧٥ .

[٢] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ٦ ص ٨٩ .

[**] في أوقات الغزو النورماندي دخل الإمبراطور ألكسيوس في علاقات دبلوماسية مع البابا جريجوري السابع وذلك بعد عام ١٠٨٩م .

The Cambridge medieval history, Vol., IV . p. 333.

[3] Claud Cahen : an introduction to the First crusade, past and present, No. 6. (Nov. , 1954). P. 24 .

[٤] د. جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين ص ٢١٢ .

[5] Encyclopedia Britannica . vol, 11 , " Ademar de Monteil "

هذه الاجتماعات ودية ، والراجح أنه أسهم في تسوية الأمور بين الإمبراطور وريموند ، فلم تلبث العلاقات أن تحسنت بينهما [١] فكانت لباقة الأسقف أدهيمار هي السبيل للتغلب على كثير من الصعاب التي عاقت حسن العلاقات بين الإمبراطور وكونت تولوز [٢] ، فعلى الرغم من أن القادة الصليبيين تشاجروا مع بعضهم البعض في كثير من الأحيان على قيادة الحملة الصليبية ، إلا أنهم اعترفوا على الدوام بزعامة أدهيمار الروحية للحملة الصليبية [٣] ، فكان أدهيمار ذا تأثير مهدئ على الصليبيين [٤] فأقسم ريموند كونت تولوز يمين الولاء والتبعية للإمبراطور ، وتعهد بالمحافظة على حياة الإمبراطور [٥].

كانت الظروف تستدعي ضرورة الإتفاق بين ألكسيوس والفرنج ، على الرغم من تضارب المطامع واختلاف الأهداف ، فكان زعماء الفرنج أنفسهم يشعرون بوجوب تأييد البيزنطيين لهم لمواصلة حملتهم التوسعية حتى تصل إلى الهدف الذي ينشدونه بالاستيلاء على أراضي جديدة يحكمونها في الشرق ، أما بيزنطة فقد رأت استخدام هذه الجيوش الصليبية لمصلحتها وتحقيق أهدافها السياسية . ففي مايو سنة ١٠٩٧م / ٤٩١هـ عقدت بالقسطنطينية اتفاقية بين ألكسيوس وزعماء الفرنج ، نصت على شروط خاصة تعهد بها الطرفان ، تعهد الصليبيون بأن يعيدوا إلى حظيرة الإمبراطورية الأراضي والأقاليم التي كانت تابعة لها فيما مضى بعد تخليصها من قبضة السلاجقة [٦] ووعدوه بأن يسلموا إليه أول بلد يفتحونه [١] ، أما

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٤٩ .

[٢] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص ١٠٦ . حاشية رقم (٥٢) .

[3] Encyclopedia Britannica . vol, 11 . " Ademar de Monteil "

[٤] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ص ١٠٦ . حاشية رقم (٣) .

[٥] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ٦ ص ٨٩ .

[٦] د. جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص ٢٢٢ بتصرف بسيط .

ألكسيوس فقد تعهد في مقابل ذلك بمساعدة الصليبيين والمحافظة على سلامتهم خلال مرورهم عبر أراضي دولته ، كما وعدهم بأن يسهل لهم مسألة التموين . [٢]

ويبدو أن أدهيمار كان هو صمام الأمان الوحيد لهذه الاتفاقية بين الصليبيين والدولة البيزنطية ، إذ بعد أن توفى الأسقف أديمار خلا الجو لبوهيموند فحنث في يمين الطاعة والولاء للإمبراطور البيزنطي ولم يبر بما وعد [٣] ، على أية حال فقد بدأت بعد هذه الاتفاقية العمليات العسكرية لاحتلال الشرق الإسلامي .

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق . ط . مطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت . لبنان سنة ١٩٠٨م . ص ١٣٥ .

[٢] د. جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص ٢٢٢ .

[٣] د. أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى . جـ٢ ص ٢٧٤ .

دور أدهيمار في حصار وسقوط نيقية (*)

اتفق الصليبيون على ألا تكاد تنضم جيوشهم كلها بعضها إلى بعض حتى يزحفوا كتلة واحدة إلى نيقية ، لكن أعدادهم بلغت من الكثرة حدًا أصبح من المستحيل معه أن يتريثوا أكثر مما تريثوا ، وقلت المئونة والأزواد التي عندهم قلة شديدة ، ومن ثم قسموا عسكرهم قسمين ، اتجه أحدهما شطر نيقية ، بينما عبر القسم الآخر البسفور . (١)

كان القادة الذين عبروا البحر وهم . جودفري وبوهيموند وروبرت كونت فلاندرز وأسقف بوي . قد أعدوا حوائجهم وصاروا على أهبة الاستعداد لمواصلة الحج مرة أخرى ، كما أزمعوا السير على مهل إلى نيقية في انتظار رفاقهم القادمين وراءهم (٢) ، أما الرفقة التي كانت مع بطرس الناسك فقد واجهت كارثة مخيفة حيث هلك وتدمر عددًا كبيرًا منهم ، وقد عبر القليل منهم مرة أخرى مضيق البسفور في قوارب بعثها الإمبراطور لمساعدتهم ، وقد انتظر بقايا البائسين من الحملة الأولى (الشعبية) وصول الباقين من الصليبيين الموجودين في القسطنطينية والذين كانوا تحت قيادة المندوب البابوي أدهيمار لي بوي . (٣)

(*) نيقية : تقع على شواطئ بحيرة أسكان ، التي لا تبعد كثيرًا عن بحر مرمرة ويجتازها الطريق الحربي البيزنطي القديم . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٢٦٣ .

(١) أنا كومنينا : الكسياد . ترجمة د/ حسن حبشي . ط . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م . ص ٤١٥ .

(٢) وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٨٨ .

(3) The Cambridge medieval history, vol., 4. p. 337.

وقد أحصوا العسكر فوجدوهم ستمائة ألف شخص ، ذكرًا وأنثى مشاة لا ظهر عندهم ، أما الفرسان من أصحاب الدروع فكانوا مائة ألف ، وقد عسكر هذا الجيش بأجمعه أمام مدينة نيقية ، مكرسًا كل نشاطه بشتى الطرق الممكنة للاستيلاء عليها [١] ففي السادس من شهر مايو سنة ١٠٩٧م / ٤٩٠هـ وصلت جيوش الحملة الصليبية الأولى أمام مدينة نيقية في آسيا الصغرى ، والتي كانت في ذلك الحين عاصمة للدولة السلجوقية التي كان يحكمها قلج أرسلان [*] وكانت المدينة تتحكم في الطريق الأساسي عبر الأناضول [٢] وكان السلطان قلج أرسلان غائبًا عن عاصمته نيقية فى ذلك الوقت [٣] .

رأى الأمراء أنه لابد من وضع خطة أو مخطط سري ، بحيث يحاصر ويهاجم كل أمير جهة من جهات المدينة المحاصرة ، وانضم إليهم الأسقف أدهيمار ، ومعه عدد غير قليل من المشاة ، وأخذ موقعه حول المدينة [٤] فقد حاصر بوهيموند المدينة من الشمال ، بينما حاصرها الدوق والألمان من الشرق ، والكونت

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ١٩٢ .

[*] قلج أرسلان : هو الملك قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمش السلجوقي ، صاحب بلاد الروم انحدر به الفرس إلى ماء عميق في نهر الخابور فغرق ، وظهر بعد أيام فدفن في الشمسانية وهي من قرى الخابور سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٧م . ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ١٠ ص ٤٢٦ . ٤٣٠ .

[٢] د. قاسم عبده قاسم : الحملة الصليبية الأولى . ص ١٧٧ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٦٤ .

[٤] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . ترجمة د/ سهيل زكار . نشر ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . دمشق . سوريا سنة ٢٠٠٧م . جـ ٥١ ص ٢٣٨ .

تولوز وأسقف لي بوي من الجنوب [١] فاتخذ كل من كونت صنجيل وأسقف لي بوي موقعه بسرعة قبالة تلك البوابة [٢] فتمكن الكونت صنجيل وأسقف لي بوي من احتلال تلك الجهة الجنوبية [٣] ولما تم الإحداق تمامًا بالمدينة على هذه الصورة أجمع القادة على وجوب الإسراع في نصب الآلات اللازمة لتقويض الأسوار . [٤]

راح كل قائد يبذل قصارى جهده في تشديد الحصار . في قطاعه الذي وكلّ إليه . شدة حملت بقية الناس على التحدث بما كان منه [٥] ، فلم يشترك الأسقف أدهيمار في ضرب الحصار على مدينة نيقية فقط ، بل عمل على إسقاط المدينة في أيدي الصليبيين بكل ما أوتي من قوة ، وهو ما يؤكد على أنه كان قائدًا عسكريًا ولم يكن قائدًا روحيًا للحملة الصليبية الأولى .

فمن هذه الأعمال العسكرية المساعدة فى إسقاط المدينة ، أن القسم الجنوبي الذي عهد به إلى كونت تولوز ليتخذه مركزًا لهجماته ، كان به برج يبز كل برج سواه في ارتفاعه الشاهق وبنائه المحكم ، وقيل إن زوجة قلج أرسلان كانت تقيم على مقربة منه ، وظل الكونت بضعة أيام يبذل كل جهده لهدم هذا البرج فما أفلح بل باءت مساعيه كلها بالفشل [٦] فتبادل كونت صنجيل وأسقف لي بوي الرأي واتفقا حول الوسائل التي تمكنهما من هدم أحد الأبراج ، وكان قائمًا أمام معسكريهما ، وقد عمدا إلى إرسال عدد من الرجال لحفر نفق تحته بغية

---

[١] ريموندأجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص ٧٧ .

[٢] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص ١١٠ .

[٣] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ٦ ص ٩١.

[٤] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٠٦ .

[٥] المصدر السابق : جـ١ ص ٢٠٨ .

[٦] المصدر السابق : جـ١ ص ٢١١ .

تعليقه ، ومضى هؤلاء بحماية جماعة من حاملي الأقواس والنشاب ، وجرت عملية الحفر بنجاح ، وتم وضع كمية من الأخشاب تحت أساسات البرج ، ثم أضرمت فيها النيران ، ومع حلول الظلام إنهار البرج ، غير أن القتال توقف بسبب الظلام ، فانتهز الأتراك الفرصة وخرجوا في الليل الدامس فرمموا ما تشعث من الأسوار حتى عادت أقوى مما كانت عليه [١] ولأن البرج لم يتصدع وينهار إلا أثناء الليل ، فلم يستطع المسيحيون مهاجمة المدينة [٢] وقد أشرف أدهيمار دي مونتيل على حفر الخندق تحت هذا البرج . [٣]

ولم يتوقف دور أدهيمار دي مونتيل على المشاركة في حصار نيقية ومهاجمة أسوارها وأبراجها ، بل شارك أيضًا في صد الهجوم الذي قامت به قوات قلج أرسلان من أجل فك الحصار عن نيقية ، فقد أظهر أدهيمار مهارات تكتيكية وقيادية أكثر من المحاربين الموجودين في المرتبة الأولى لهذه الحملة[٤].

ففي ٢١ مايو ١٠٩٧م / ٤٩٠هـ قدم السلطان بجيشه من جهة الجنوب فبادر بمهاجمة الصليبيين محاولاً بذلك أن يشق له طريقًا ، ينفذ منه إلى المدينة[٥] المدينة[٥] ولما عرف القادة الصليبيون أن قلج أرسلان على وشك القدوم ، بادروا في لحظتهم فأرسلوا من قبلهم إلى كونت تولوز وإلى أسقف بوي . اللذين لم يكونا قد انضما إلى بقية العسكر حتى هذه اللحظة . رجالاً يلتمسون منهما المجيء على جناح السرعة ، فلما تسلم هذان القائدان تلك الرسالة من إخوانهما جزعا عليهم

---

[١] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية .جـ٦ ص ٩٢ . ريموناجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص ٧٨ .

[٢] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص ١١١ .

[3] D. S. Chambers : Popes , cardinals and war , pp. 12 -13.

[4] Ibid : p. 12 .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٦٧ .

جزعًا غير قليل ، وندما على تأخرهما عن اللحاق بهما ، وخرجا وظلا سائرين طول الليل حتى بلغا المعسكر مع أولى تباشير الصباح وقبل شروق الشمس ، وتقدما وحولهما الناس ما بين مهلل وهاتف والرايات تخفق أمامهما وتلمع الأسلحة في الجو ، واتخذ مكانهما المقسوم لهما مع بقية الجيش . [١]

وخطب الأسقف أدهيمار في جيش الحجاج قائلاً : " يا شعب الرب ، لأجل الرب تركتم أرضكم ، وكل ما تملكون من حقول العنب والأبراج ، وهذه معركتكم وهي تاج الشهادة ، اضربوا الأعداء ، اليوم ستنصرون برحمة الرب " [٢] ، فأعاد أدهيمار الانضباط في صفوف الصليبيين أمام نيقية [٣] واشتبك قلج أرسلان مع جيش ريموند والراهب أديمار ، وكادت الدائرة تدور على الصليبيين لولا تدخل روبرت أمير الفلاندرز ، حيث شعر السلطان السلجوقي بأنه لا قبل له بمهاجمة الجيوش الصليبية جميعًا ، فارتد إلى الجبال ، وترك مدينة نيقية ومن فيها يواجهون مصيرهم بأنفسهم . [٤]

في هذه الأثناء قام زعماء الجيوش الصليبية بعقد مؤتمر على مألوف عادتهم بعد أن أتضح لهم عدم إحراز أي تقدم في مشروعهم . إسقاط نيقية . ومن ثم راحوا يتشاورون فيما بينهم بروح ملؤها الجد فيما ينبغي عليهم عمله في

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٠٣ .

[٢] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ٥١ ص ٤٠ .

[3] Encyclopedia Britannica . vol, 11 " Adhemar de Monteil "

[٤] د. تيسير بن موسى : نظرة عربية على غزوات الإفرنج . ط . الدار العربية للكتاب . بيروت . لم تذكر سنة الطبع . ص ٦٩ .

ظروفهم الراهنة هذه [١] وأدرك القادة بأنه من المحال إنزال الأذى بالعدو من تلك الجهة . الجنوبية المسئول عنها أدهيمار وكونت تولوز . فقام بوهيموند بمهمة حصار المدينة من الجهة الأمامية ، ووقف إلى جانبه الكونت السانجيلي ومعه أسقف بوي واشتد الحصار الذي ضرب على نيقية من جهة البر شدة كبيرة ، ولم يعد بإمكان أحد ما الخروج من المدينة أو الدخول إليها ، ووقف الجميع في هذه الساعة وقفة رجل واحد .. واستمر حصار نيقية سبعة أسابيع وثلاثة أيام . [٢]

لما أيقن التركمان في النهاية أنهم لن يستطيعوا تلقي أية نجدة من جيوشهم ، أرسلوا سفارة إلى الإمبراطور ، تخبره باستعدادهم تسليم البلد له ، إذا سمح لهم بالخروج مع نسائهم وأطفالهم وجميع ما يملكون ، وسُر الإمبراطور وابتهج وقبل[٣] وعوّض الأمبراطور الصليبيين بالهدايا التي أغدقها عليهم بدلاً من الغنائم والأسلاب التي كانوا ينتظرون الحصول عليها عند استيلائهم على المدينة[٤] فكانت الحملة الصليبية الأولى خير أداة استطاعت أن تثأر بها الدولة البيزنطية لنفسها مما حلّ بها يد السلاجقة منذ موقعة مانزكرت سنة ١٠٧١م / ٤٦٤هـ [٥] .

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢١٤ .

[٢] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ٦ ص ٩٢ . ٩٣ .

[٣] المصدر السابق : جـ٦ ص ٩٣ .

[٤] د. قاسم عبده قاسم : الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق . ص ٢٢ .

[٥] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٧٠ . ١٧١ .

أدهيمار ومعركة دوريليوم (*)

بعد مضي أسبوع على سقوط نيقية أخذت مقدمة الجيش الصليبي فى التحرك وأعقبها فى اليومين التاليين سائر أقسام الجيش ، واجتمعت من جديد عند الجسر الذي يقع على النهر الأزرق . بتركيا حاليًا . فعقد الأمراء الصليبيون مجلسًا للمشورة عند الجسر في قرية (لويكي) وتقرر تقسيم الجيش قسمين وذلك لحل مشكلة المؤونة [١] وللقضاء على نفوذ سلاجقة الروم في أكبر مساحة ممكنة من ناحية أخرى ، فسارت إحدى الشعبتين في الاتجاه الشمالي الشرقي ، والأخرى في الاتجاه الجنوبي الشرقي ، على أن يلتقيا في دوريليوم [٢] فكان يوهيموند وروبرت النورماندي وغيرهم كثيرين في فريق واحد ، وضمت المجموعة الثانية كلاً من ريموند كونت صنجيل ، والدوق جودفري وأسقف لي بوي وعديدين غيرهم . [٣]

وقد جعل سقوط نيقية البيتين الكبيرين من الأتراك في آسيا الصغرى وهما . البيت السلجوقي وبنو دانشمند . يعقدان هدنة فيما بينهما لمواجهة ذلك الخطر المشترك الجديد ، وهكذا اجتمعت جميع قوى الأتراك في آسيا الصغرى لمهاجمة الصليبيين في سهول دوريليوم[٤] فقد أعلمت قلج أرسلان كشافته بانقسام الجيش .

(*) دوريليوم Dorylaeum مدينة قديمة في آسيا الصغرى ، قريبة من المدينة الحالية اسكى شهر بتركيا حاليًا ، ر . سي . سميل : فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر . ترجمة / محمد وليد الجلاد . ط . مركز الدراسات العسكرية . دمشق سنة ١٩٨٥م . ص ٥٧ حاشية رقم (٢) .

(١) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٢) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٦٥ .

(٣) بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص ١١٢ .

(٤) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٦٦ .

الصليبي ـ شطرين ، وأن أقربهما إليه أضعفهما وأقلهما عددًا ، فأدرك في الحال أن الفرصة التي ينشدها منذ وقت طويل قد واتته فنزل من الجبل بجيشه الذي لا يحصيه العد[١] وقدر عدد الأتراك بنحو ٢٦ ألف [٢] واتخذ السلطان موضعه في وادٍ قرب دوريليوم ، مستعدًا لمهاجمة الصليبيين عند قدومهم لاجتياز الوادي . [٣]

لم يلبث الترك أن طوقوا معسكر الصليبيين الذين تراءى لهم أن عدد الترك لا حصر له ، واستخدم الترك ما شغفوا به من الخطط الحربية ، وأخذ الصليبيون يرتابون فيما إذا كان بوسعهم أن يصمدوا لما انهمر عليهم من قذائف الترك التي لم تنقطع ، على أن ما حدث من تطويقهم جعل أمر هروبهم مستحيلاً ، ولن يترتب على استسلامهم سوى الأسر والاسترقاق . [٤]

وعندما هاجمت قوات الأتراك بوهيموند أرسل على الفور برسالة إلى القسم الآخر من الجيش الصليبي ، وبالتحديد إلى كونت صنجيل ، والدوق جودفري وهيو العظيم ، وأسقف لي بوي ، وإلى كبار الفرسان الآخرين ، وأن لا يتوانوا في الاندفاع إلى ميدان القتال ، وأضاف قائلاً : لو رغب أحد في القتال ، فقد حان الوقت كي يثبت شجاعته [٥] ، وفي رواية أخرى خاطبهم بقوله : من أراد منكم أن يسهم اليوم بنصيب في الحرب ، فليقدم شاهرًا سيفه غير متردد " ، واستجابوا لندائه ، وكان جودفري المعروف بشدة إقدامه وشجاعته وهيو الكبير أول الواصلين على رأس قواتهما ، ولم يلبث أن وصل أسقف لي بوي ومعه عساكره ، ثم تلاه كونت صنجيل

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٢٣ .

[3] Dane Munro : Letters of the Crusaders written from the holy land . University of pensylvania, 1900, p p. 1 -2 .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية .جـ١ ص ٢٧٨ .

[٤] المصدر السابق : جـ١ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

[٥] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص ١١٢ ـ ١١٣ .

في جيش كثيف العدد . [١]

وقد خاض أدهيمار دي مونتيل دورًا حاسمًا في معركة دوريليوم [٢] ، كان في البداية دورًا حماسيًا محفزًا لغيره من الصليبيين على خوض غمار المعركة ، يقول فوشيه الشارتري عن هذا الدور [٣] : " كان معنا أسقف لي بوي حامينا ، ومعه أربعة أساقفة آخرين ، وكثير من القساوسة المتدثرين الأردية البيضاء ، فتوسلوا بخشوع إلى الله أن يكسر أعداءنا ، وأن يمنّ علينا برحمته ، وانشدوا باكين ، وبكوا منشدين ، وهرول كثير من الناس إلى القساوسة موقنين أن نهايتهم قد دنت ليعترفوا بخطاياهم " .

فقد راح أسقف بوي . مع رهط من مساعديه في نفس أسقفيته . يقوي عزائم الناس ، ويعظهم ويشجع القادة ألا يتراخوا في قتالهم ، أخذًا بدم من هلك من إخوانهم ، مؤكدًا لهم أن النصر لابد مسعفهم من السماء ، ودعاهم ألا يمكنوا خصوم الملة وأعداء اسم المسيح . حسب اعتقاده . من التباهي بأنهم أهلكوا المؤمنين ، وظل رجال الرب يحثون الناس على القتال بهذه الكلمات وأمثالها من عبارات التشجيع ، وبثوا فيهم الشجاعة ومن ثم شنّ الصليبيون في همة لم تعهد فيهم من قبل هجومًا عنيفًا سلّوا فيه سيوفهم على الأعداء . [٤]

إن ما حازه الصليبيون من انتصار في دوريليوم يرجع معظمه إلى ما وضعه أدهيمار من خطة حربية [٥] فلم يلبث شمل الفرنجة أن التأم وعبئت الصفوف [١]

---

[١] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ٦ ص ٩٧ .

[2] Encyclopedia Britannica . vol, 11 " Adhemar de Monteil "

[٣] تاريخ الحملة إلى القدس : ص ٤٩ .

[٤] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٢٦ . ٢٢٧.

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٣٧٧ .

فاصطف الصليبيون في تشكيل المعركة ، واندفع أدهيمار هابطًا من جيل آخر وحاصر الترك الذين استبد بهم الذعر [٢] حيث رأوا فجأة جيشًا آخر قادم فوق التلال من ورائهم ، حيث كان أدهيمار أسقف لي بوي على رأس مفرزة من الفرنسيين الجنوبيين حيث خطط بنفسه لهجوم مضاد عبر المسالك الجبلية [*] وأخذ الأتراك على حين غرة وفروا شرقًا وتركوا مخيمهم مذعورين [٣] فقد فاجأت التتعزيزات التي قادها أسقف لي بوي المسلمين السلاجقة مفاجأة تامة فسارعوا إلى الانسحاب من ميدان المعركة . [٤]

إن ما حدث من تدخل لأدهيمار كفل النصر للصليبيين ، فتحطمت خطوط الترك الذين لاذوا بالفرار إلى الشرق ، وألهتهم العجلة والسرعة عن تقويض معسكرهم ، فتركوه قائمًا ، فوقع في أيدي الصليبيين سرادقات السلطان والأمراء بما زخرت به من الثروة والغنيمة [٥] ، فقد كادت المعركة تحسم لصالح السلاجقة لولا وصول القسم الثاني من الجيش الصليبي الذي ما إن شاهد قلج أرسلان طلائعه حتى دّب فيه الذعر ، معتقدًا أن هذه الجيوش لا آخر لها ، وتراجع موليًا هو وجيشه الأدبار ، بعد أن أبلى الجيش السلجوقي في هذه المعركة بلاء عظيمًا[٦] وقد اعترف بعض مؤرخي الحروب الصليبية بهذه الحقيقة ، منهم بطرس توديبود الذي

---

[١] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ٦ ص ٩٧ .

[٢] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص ١١٣ .

[*] من الراجح أن أدهيمار اجتاز أيضًا وادي بورسك Porsuk للإنقضاض على مؤخرة الترك رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٨٠ ، حاشية رقم (١) .

[4] Setton : A history of the crusades . vol, 1 . p. 293 .

[٤] ر . سي . سميل : فن الحرب عند الصليبيين . ص ٢٥٣ .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٢٧٩ . ٢٨٠ .

[٦] د. تيسير بن موسى : نظرة عربية على غزوات الأفرنج . ص ٦٩ .

يقول عن ذلك [١] : " ولولا وجود الرب معنا في هذه المعركة ولولا إرساله فرقة أخرى لإنقاذ بوهيموند على وجه السرعة ، ما تمكن أحد من رجالنا من النجاة ، فإن الرب العطوف الرحيم قد أدركنا بعونه العاجل ، فأنقذ فرسانه من الموت والوقوع في أسر العدو " .

لقد كان أدهيمار هو المسئول عن التحول في سير المعركة الذي أدى إلى الانتصار في دوريليوم[٢] ، فقد ألحق الجيش الصليبي بالسلاجقة هزيمة منكرة ، وخارت قوتهم وأصبحت الأراضي التي كانت للسلاجقة من قبل في آسيا الصغرى فريسة سهلة وغنيمة يسيرة للصليبيين [٣] فكانت هذه المعركة فاصلة في تاريخ الحركة الصليبية ، إذ توقفت كل مقاومة منظمة منذ ذلك الحين ، وطوال مسيرة الجيوش الصليبية في آسيا الصغرى [٤] حيث كانت القوى العربية الأخرى في المنطقة ضعيفة ومنقسمة على نفسها ، مما هيأ للتدخل الأجنبي فرصة إحراز هذه المكاسب السريعة الخاطفة [٥] فكانت معركة دوريليوم بمثابة إعلان للعالم بظهور قوة جديدة على مسرح الشرق الأدنى ، هي قوة الصليبيين الغربيين الذين أثبتوا تفوقهم الحربي على القوة التي طالما عجزت أمامها الجيوش البيزنطية ، وهي قوة السلاجقة . [٦]

---

[١] تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس : ص ١١٤ .

[3] D. S. Chambers : Popes, cardinals and war , p. 13.

[٣] يوشع براور : الاستيطان الصليبي في فلسطين . ص ٢٦ .

[٤] د. قاسم عبده قاسم : الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ص ١٦٢ .

[٥] د. جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص ٢٣٥ .

[٦] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٦٦ .

الزحف الصليبي نحو أنطاكية (*)

كان الصليبيون في حاجة إلى المال ، فكان هذا عاملاً إضافيًا لممارسة عمليات السلب والنهب في المناطق الريفية المحيطة بهم ، وتجريد كل من يقع في قبضتهم مما يملك سواء أكان جيشًا منهزمًا أم مدينة أم قلعة ، وشاعت تلك الفكرة بين صفوفهم منذ معركة دوريليوم : اليوم سنصبح كلنا أغنياء بمشيئة الله" (١) فنهض من عسكر الأفرنج فريق وافر يناهز ثلاثين ألفًا فعاثوا في الأطراف (٢) وواصلوا زحفهم في الشرق الإسلامي .

كان من المدن التي سقطت في أيدي الصليبيين عقب معركة دوريليوم ، مدينة هرقلة (**) فاستراحوا فيها بضعة أيام قليلة ثم انقسموا إلى شعبتين ، إحداهما كان على رأسها المندوب البابوي أدهيمار وجودفري وبوهيموند وريموند واتخذت طريقًا شماليًا شرقيًا صوب قيصرية (***) والتي استولوا عليها في ٢٧ سبتمبر سنة ١٠٩٧م /٤٩١هـ ، وبعد أن أستولى الصليبيون على قيصرية اتجهوا صوب الجنوب الشرقي ، فاستولوا في أوائل أكتوبر ١٠٩٧م /٤٩١هـ على بلاكنتيا . وهي

(*) اشتهرت أنطاكية عند المسيحيين ، بما لها من قداسة خاصة ، لأنهم اتخذوا بها لأول مرة اسم المسيحيين ، وبها أقام القديس بطرس أول أسقفية له . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٣١٩ .

(١) جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ١١٨ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق . ص ١٣٤ .

(**) هرقلة : مدينة ببلاد الروم . ياقوت الحموي : معجم البلدان ط . دار إحياء التراث العربي . بيروت سنة ١٩٧٩م . جـ٥ ص ٣٩٨ .

(***) قيصرية : بلد على ساحل بحر الشام ، تُعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام المصدر السابق : جـ٤ ص ٤٢١ .

قلعة أرمينية في جبال طوروس ذات موقع هام . وقد طالب القائد البيزنطي المرافق للصليبيين تسليمه تلك القلعة باسم الإمبراطور ، فوافق الصليبيون على ذلك ، مما يثبت وفاءهم بتعهداتهم للإمبراطور حتى تلك المرحلة.[١]

ثم اخترق أدهيمار ومن معه مجموعة من سلاسل جبال طوروس العالية للوصول إلى مرعش[*] وكانت مرعش مدينة أرمينية معظم سكانها من الأرمن ، فرحبوا بالصليبيين عند وصولهم إليها في ١٣ أكتوبر سنة ١٠٩٧م /٤٩١هـ واعتبروهم منقذين لهم وحماة للمسيحية في تلك الجهات ، وهناك حافظ الصليبيون على كلمتهم وسلموا مرعش للسلطات البيزنطية ثم غادروا مرعش في أكتوبر سنة ١٠٩٧م / ٤٩١هـ بعد أن تزودوا بالطعام والماء ، ثم استولوا على حصن بغراس [**] وقلعة أرتاح [***] في الطريق . [٢]

ثم قام قادة الجيش الصليبي بوضع الخوذ وارتداء الدروع وحمل السلاح ، ونادوا على رفاقهم علينا أن نواصل المسير نحو أنطاكية ، وقام الأسقف . أدهيمار . بإلقاء خطبة حماسية أمام الحجاج حيث خاطبهم بالكلمات التالية :

---

[١] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٦٧ .

[*] مرعش : مدينة من أعمال حلب ، عامرة ولها مياه وزروع وأشجار ، ولها حصن منيع . ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب . تحقيق د / سهيل زكار . ط . دار الفكر . بيروت . لم تذكر سنة الطبع . جـ١ ص ٢٣٥.

[**] بغراس : مدينة في لحف جبل اللكام ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس . الحموي : معجم البلدان . جـ١ ص٤٦٧ .

[***] قلعة أرتاح : اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب . المصدر السابق : جـ١ ص ١٤٠ .

[٢] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٦٩ . ١٨٩ بتصرف بسيط .

" أيها الرجال ، يا إخوتي ، وأبنائي الأحبة ، استمعوا بانتباه للذي سأقوله لكم ، نحن بقينا على مقربة من مدينة أنطاكية ، فقط أربعة أميال ، تفصل بيننا وبين هذه المدينة الرائعة ، لهذا يجب علينا التقدم بحذر ، صفوفنا تحت قيادة الدوق جودفري ، والأمراء في المقدمة ، ثم الفرسان ، وفي نهاية صفوف الجيش يأتي المشاة ، هذه هي نصيحتي " ، وبعد خطبة الأسقف نظم رجال جيش الحجاج صفوفهم وانطلقوا بحماس إلى أسوار المدينة الجبارة . [١]

وبعد انضمام بقية جيوش الأمراء إلى الجيش الرئيسي في وحدة متكاملة قام الأسقف أدهيمار يخطب واعظًا الشعب الصليبي ، ويحذر الحجاج قائلاً : " يا أبنائي وإخوتي الأعزاء ، أنتم تعلمون أن مدينة أنطاكية أصبحت قريبة ، وكما علمنا أنها بنيت بشكل قوي وحصين ، ولا يؤثر فيها المنجنيق ، وحجارة أسوارها صخرية قوية ، ونعرف أن فيها أتراك وعرب جاءوا من جبال آسيا الصغرى ، لذلك يجب علينا ألا نقسم جيشنا مرة أخرى ، وأن نبقى متحدين وغدًا نتابع المسير حتى جسر العاصي "[*]، وبعد أن استمع الحجاج إلى خطبة الأسقف تابعوا الزحف حتى وصلوا إلى الجسر على نهر العاصي [٢] ويتضح من خلال وصف أدهيمار الدقيق في خطابه لقوة ومناعة أنطاكية ، وذلك قبل وصول الصليبيين إليها ، أنه قد زار

---

[١] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ ٥١ ص ٦٠ .

[*] العاصي : يقال له نهر الأرند والأرنط Ornets ويقال له العاصي والمقلوب لأنه يخالف أنهار الدنيا كلها ؛ لأنه يجري من الجنوب إلى الشمال ... ويخرج إلى أنطاكية فيحف بالمدينة من جهة الغرب ، وينفصل عنها فيصب في البحر . المتوسط . . ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب . جـ١ ص ٣٩٠ .

[٢] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ٥١ ص ٥٧ .

الشرق الإسلامي بالفعل قبل اندلاع الحروب الصليبية وأن هذه الزيارة الهامة كانت من الدعائم الأساسية التي بنى عليها البابا أوربان الثاني قراره بتعين أدهيمار دي مونتيل مندوبًا بابويًا للحملة الصليبية الأولى . على أية حال فإنه حين رأى الصليبيون أنهم قد صاروا قاب قوسين أو أدنى من أنطاكية ، اجتمعوا للتشاور فيما بينهم ، وتغلب في هذا الاجتماع الهام رأى الفريق القائل بوجوب المبادرة إلى حصار المدينة ، وأن الخطر في إرجاء القتال ، ومن ثم فقد قوضوا خيامهم يوم ١٨ أكتوبر ١٠٩٧م /٤٩١هـ ، وزحفوا شطر مدينة أنطاكية حتى صاروا أمامها [١] ، حيث وصلت طلائع الجيش الصليبي بقيادة بوهيموند مدينة أنطاكية في ٢١ أكتوبر ١٠٩٧م /٤٩١ هـ . [٢]

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ ١ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

[٢] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص ١٨٩ .

دور أدهيمار في حصار وسقوط أنطاكية

بعد وصول الجيش الصليبي الرئيسي إلى أنطاكية في٢١ أكتوبر١٠٩٧م /٤٩١هـ بفترة وجيزة كان واضحًا تمامًا بأن الصليبيين لم يتمكنوا من الضغط بشدة على حصار المدينة المحصنة [١] فقد كان للسور المحيط بأنطاكية دون الجبل خمسة أبواب [٢] وكان في الجانب الشمالي من أنطاكية ثلاثة أبواب تطل جميعها على النهر ، وتعرف العليا منها بباب الكلب ، ويوجد أمامها مباشرة جسر[*] يجتاز الممشي ، ويكمل السور . [٣]

وقد خيم الأسقف . أدهيمار . مع ريموند عند أحد الأبواب [٤] وهو باب الكلب ،وكان معهما غيرهما من النبلاء الذين ساروا تحت قيادتهم ، وكانت البوابة العليا والمعروفة بباب الكلب ، تُعد مصدر خطر جسيم يهدد قوات الصليبيين ، لأنه كان في هذا الموضع جسر صخري ، يمتد فوق مستنقع ويخرج من المدينة ، وكثيرًا ما جاءت عن طريق هذا الجسر غارات جمة في منتصف الليل ، وأخرى مفاجئة بالنهار ، وكلها تستهدف معسكر كونت تولوز الموكل إليه حراسة تلك البوابة ،

---

(1) The Cambridge medieval history. Vol, V . P.289.

[٢] ابن العديم : بُغية الطلب في تاريخ حلب . جـ١ ص ٨٥ .

[*] كان هذا الجسر قديم البناء ، شيد بشكل فني رائع ، وعمل على شكل قوس على نهر العاصي ، وكان على جانبي الجسر الذي عرف باسم جسر الحديد برجان يحتلهما الأتراك ويستطيعون منهما أن يقاوموا مقاومة شديدة . ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ج٥١ ص ٥٨ .

[٣] وليم الصوري : الحروب الصليبية .جـ ١ ص ٢٨٢.

[٤] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية. جـ٥١ ص ٦١ .

وكان من عادة الأتراك أن يقتحموا البوابة ويصبوا وابلاً من السهام تتهاوى كالمطر الدفاق ، مما يؤدي إلى مصرع الكثيرين من رجال الكونت واصابتهم بالجراح ، ومن ثم كانت الجياد والبغال التي فقدها كونت تولوز وأسقف بوي وغيرهما من النبلاء المرابطين في تلك الناحية تجاوز كثيرًا ما فقده عسكر القادة الآخرين . [١]

كانت المطايا ودواب الحمل أساسية بالنسبة للصليبيين جميعًا ، وكان أمرًا طبيعيًا أن يهتم الفرسان بالخيول التي تحفظ لهم مكانتهم الرفيعة ، وتمكنهم من أداء المهام الملقاة على عاتقهم ، ومنذ حلول الأول من يوليو ١٠٩٧م /٤٩١هـ كانوا قلقين على جيادهم المعدة للقتال لأنها منهكة وجائعة ، وفي الشهر التالي كانت جيادهم ودوابهم تتساقط كالذباب أثناء عبورهم المناطق القاحلة بوسط الأناضول ، وفقد كثير من الفرسان دوابهم ، وامتطى البعض الثيران واستخدموا الماعز والغنم بل والكلاب كدواب للحمل ، وعندما وصلوا إلى أنطاكية كان هناك نقص حاد في الخيول ، وتحول الموقف من سيئ إلى أسوأ ، وعند بداية حصار أنطاكية في شهري أكتوبر ونوفمبر ١٠٩٧م /٤٩١هـ بلغ عدد الجياد المتبقية ما بين ٧٠٠ ، ١٠٠٠ ، ولم يكن تحت يد كل من ريموند السانجيلي وأدهيمار سوى مائة حصان فقط . [٢]

ولأجل حل هذه المشكلة أثناء حصار أنطاكية وضع ريموند كونت تولوز تحت تصرف أسقف بوي وبعض النبلاء الآخرين خمسمائة مارك فضة وزنًا ، تعويضًا لأصحابها عن الخيل التي هلكت لهم ، فلما عرف أتباعه أنهم ، عوضوا خيرًا عن جيادهم التي فقدوها أظهروا من ضروب الشجاعة والتفنن في محاربة

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية .جـ ١ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦ بتصرف بسيط .

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

العدو ما لم يظهروه من قبل . [١]

أدت الخسائر التي وقعت في صفوف المحاربين الناجمة عن هذا الوضع إلى استيلاء الهم المقيم على الكونت والأسقف ، ومن ثم فقد استدعيا رجالهما ، ووجهاهم للحصول على مجنات وآلات حديدية وتوحيد جهدهم لتحطيم الجسر ، فلما كان اليوم المحدد لذلك الأمر قدم الفرسان وعليهم دروعهم وتجمعوا عند الجسر ، وحاولوا هدمه بكل ما في طوقهم من قدرة ، لكن هذا البناء الأصم كان أقوى من كل حديد ، فقاومهم واستعصى عليهم ، كما راح الأهالي يعرقلون جهد العسكر ، إذ يرمونهم بالحجارة ويمطرونهم بوابل من السهام . [٢]

على الرغم من أن المحاولة الآنفة الذكر قد باءت بالفشل في تحطيم الجسر الحديدي ، إلا أن أدهيمار قد لعب دورًا هامًا في حصار المسلمين في أنطاكية [٣] ، فقد تولى أثناء حصار أنطاكية رئاسة كثير من مجالس الحرب [٤] ومن ثم تكررت محاولات الصليبيين في الاستيلاء على هذا الجسر الاستراتيجي فقد بادر الصليبيون إلى مهاجمة الجسر الحديدي ، وتولى أسقف لي بوي إدارة العمليات الحربية ، ولم يلبثوا بعد قتال مرير أن شقوا طريقهم عبر النهر [٥] وعلى الفور مكن هذا الانتصار الفرنجة من التقاط قافلة كبيرة من الأغنام والأبقار والذرة على الجانب الآخر من النهر ، كانت في طريقها إلى أنطاكية [٦] ثم جعل الأفرنج بينهم وبين أنطاكية خندقًا

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية .جـ ١ ص ٣٢٦ .

[٢] المصدر السابق :جـ١ ص ٢٨٧ .

[3] D.S. Chambers : Popes, cardinals and War, p. 13 .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٣٧٧ .

[٥] المرجع السابق :جـ١ ص ٣٢٤ .

[1] Setton : A history of the crusades. vol, 1 . p. 309.

لكثرة الغارات عليهم من عسكر أنطاكية . [١]

عندما حاصر الصليبيون أنطاكية على هذا النحو ، كان رضوان السلجوقي ملك حلب ، يهب متوجهًا نحو أنطاكية لنجدتها ، لكن قبل قيام الجيش الإسلامي بمباغتة الصليبيين ، كانت جماعة من الأرمن في حلب ، قد أرسلت رسلها إلى الصليبيين لتنبههم إلى خطة الملك رضوان [٢] فجاء الجواسيس بهذا المخطط ودخلوا المعسكر الكاثوليكي وطلبوا مقابلة الدوق جودفري والأسقف ـ أدهيمارـ وبقية الأمراء ، وأطلعوهم على المخطط ، فقام الأسقف يخطب بالحجاج قائلاً : "أيها الرجال المسيحيون باسم يسوع تصدوا للأعداء ، لقد سمعتم أن الكفار [*] قد اجتمعوا آلافًا مؤلفة من كل حدب وصوب يريدون تطويقكم من كل الجهات ، وبعون الرب ستقضون على هذه الآلاف " . [٣]

بعد هذه الأنباء عقد الصليبيون مجلسًا بخيمة الأسقف أدهيمار ، فاقترح بوهيموند ، أنه ينبغي على الرجالة أن يبقوا بالمعسكر ، لإحباط كل محاولة من داخل المدينة للهجوم على المعسكر ، أما الفرسان الذين لم يبق صالحًا منهم للخدمة إلا سبعمائة ، فينبغي أن يقوموا بهجوم مفاجئ على الجيش التركي المغير

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق. ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

[٢] سعيد برجاوي : الحروب الصليبية في المشرق . ص ١٣٠ .

[*] اعتاد المؤرخون ورجال الدين المسيحي في الغرب الأوروبي على إطلاق مثل هذه الألفاظ على المسلمين ، وهي تنبع من روح العصر الذي كانت تسوده العصبية الأوروبية العمياء ضد كل ما هو شرقي وليس ضد ما هو مسلم فقط.

[٣] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية .جـ٥١ ص ٧٠ .

فأخذ الجيش بنصيحة بوهيموند [١] وكان السبب في صدور هذا القرار . وهو إبقاء المشاة في المعسكر . أن الجبناء وغير اللائقين في صفوف المشاة ربما أظهروا جبنًا إذا رأوا قوة كبيرة من الأتراك . [٢]

في صباح اليوم التالي كان المسلمون يتقدمون من حارم [*] صوب جسر الحديد ليصلوا إلى نهر العاصي ، فالتقاهم الصليبيون الكامنون في الممر الضيق ونشب بين الفريقين معركة حامية ، وتقدم بوهيموند بفرقته ، وكر على جيش المسلمين بحيث تمكن الفرسان الصليبيون بالنهاية من دحر المسلمين وإرغامهم على التراجع إلى معسكرهم [٣] وهكذا ظل حصار أنطاكية من قبل الصليبيين قائمًا.

وبعد أن حاصر الفرنجة المدينة فترة من الزمن ، وتجولوا في الأراضي المجاورة بحثًا عن الطعام ، ولم يجدوا خبزًا يبتاعونه ، بدأ الكثيرون يخططون سرًا للإنسحاب من الحصار والفرار إما عن طريق البحر أو البر [٤] .

فقد مضى وقت طويل على بداية هذه الحرب ، وبدأ ببطء نقص المواد التموينية والحاجة إلى تأمين الغذاء للحجاج والعلف للخيول خاصة عند الطبقة الشعبية الفقيرة الذين مات منهم العديد من الجوع ، لذا عقد الأسقف . أدهيمار . وامراء الجيش اجتماعًا لتدبير الأمر ، ومساعدة الشعب ، وقرروا أن يرسلوا فرسان مشاة مع بوهيموند وروبرت الفلاندرز إلى مناطق المملكة التي يسكنها مسلمون ،

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية. جـ١ ص ٣٣٨ .

[٢] ريموناجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس. ص ١٠٣.

[*] حارم : حصن وكورة جليلة تجاه أنطاكية ، وهي من أعمال حلب . الحموي : معجم البلدان. جـ٢ ص ٢٠٥ .

[٣] سعيد برجاوي : الحروب الصليبية في المشرق. ص ١٣١ .

[٤] فوشيه الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس. ص ٥٥ .

لكي يحصلوا على غنائم ومواد تموينية لسد حاجة الشعب ، ورفع الجوع عنهم [١] .

على أن تقيم البقية الباقية من الرجال في المعسكر أثناء غياب هؤلاء الرجال ، وأن تبذل هذه البقية الباقية غاية الجهد في حماية الجيش ، واتفقوا على أن يبقى كونت تولوز وأسقف بوي لحراسة المعسكر [٢] ، أي أن مهمة حصار أنطاكية قد ألقيت بالكامل على عاتق كونت تولوز والأسقف أدهيمار دي مونتيل.

يبدو أن المسلمين في أنطاكية كانوا على علم بأن جزءًا كبيرًا من الجيش الصليبي قد فارق حصار المدينة بحثًا عن الطعام ، فقاموا بهجوم مفاجئ على من تبقى من الصليبيين المحاصرين أنطاكية ، يقول المؤرخ المجهول عن هذا الهجوم[٣] : " سار هؤلاء البرابرة المرعبون في ظلام الليل ، وانقضوا علينا بشدة متناهية فقتلوا عددًا كبيرًا من فرساننا ورجالاتنا الذين أهملوا أمور الدفاع عن أنفسهم ، وخسر أسقف بوي في يوم البؤس هذا وكيله الذي كان يقود إحدى الكتائب بنفسه ويحمل رايته " ، فكانت الخسائر فادحة على الجانبين ، لاسيما في صفوف فرسان الفرنجة ، وكان حامل لواء أدهيمار الخاص من بين القتلى [٤] .

كان ضياع البيرق . الراية أثناء المعركة وصمة عار في جبين المحارب كما كان الحال مع أدهيمار اللوبوي في معركة ٢٩ ديسمبر سنة ١٠٩٧م/٤٩١هـ وبعد ذلك بستة أشهر ، وأثناء هذه المعركة . الآنفة الذكر . كان حامل البيرق الجديد حريصًا على تسليم البيرق لرجل آخر قبل التأهب لخوض المعركة التي

---

[١] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية .جـ٥١ ص ٦٣ .

[٢] وليم الصوري : الحروب الصليبية. جـ ١ ص ٢٩٤ .

[٣] الجستا : الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية .جـ٦ ص ١١٣ .

[4] Setton : A history of the crusades. vol, 1 . p. 312.

أصيب فيها إصابة قاتلة [١] ، وقد استولى الأتراك على راية أدهيمار [٢] ورفعها ياغي سيان [*] حاكم أنطاكية عاليًا فوق السور دليلاً على فوزه . [٣]

بعد أن فشلت الحملة في الحصول على المؤن والعلف ، أمر أدهيمار أسقف لي بوي بالصيام ثلاثة أيام ، غير أن الصيام لم يكن له أهمية نظرًا لأن المجاعة اضحت وشيكة الوقوع [٤] ، ورغم كل المحاولات العسكرية والدينية التي بذلها أدهيمار دي مونتيل للبقاء على قوة الصليبيين متماسكة ولو صوريًا أمام أسوار أنطاكية الحصينة ، إلا أن المعاناة التي كان يعانيها الصليبيون من القتل والجوع كانت مريرة جدًا لدرجة أن المؤرخ الصليبي وليم الصوري قال واصفًا ذلك البلاء [٥] : " وهكذا كابد رجالنا من الحصار أهوالاً لا تقل عما كان يكابده من كانوا وراء الأسوار " أي أنه لم يكن هناك فرق كبير بين من كان محاصر ومن كان يحاصر أمام أسوار أنطاكية المنيعة ، وأمام هذا الوضع المتأزم للصليبيين ، ما كان لهم أن يدخلوها إلا بالخيانة ، لا بالشرف العسكري والقتال المباشر فقد كانوا أبعد ما يكونون عنه .

ورد الخبر بأن قومًا من أهل أنطاكية من جملة الأمير ياغي سيان من الزرّادين عملوا على أنطاكية ، وواطؤا الأفرنج على تسليمها إليهم لإساءة تقدمت

---

[١] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص ١٤٢ .

[٢] ريموناجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس. ص ٨٩.

[*] في سنة ١٠٥٨م /٤٥٠هـ استولى على أنطاكية سليمان بن قتلمش ، فلما مات ، انتقلت إلى حوزة السلطان ملك شاه ، فعين ياغسيان التركماني حاكمًا عليها . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٣١٩ .

[٣] سعيد برجاوي : الحروب الصليبية في المشرق. ص ١٢٧ .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص ٣٣٢ .

[٥] الحروب الصليبية : جـ١ ص ٢٩٠ .

منه في حقهم ومصادرتهم [١] حيث تمم بوهيموند اتفاقه مع فيروز الزراد [*] وعزم على تنفيذه ، فكشف بوهيموند عن مخططاته للدوق جودفري وكونت الفلاندرز ، وكونت صنجيل وأسقف لي بوي وأخبرهم قائلاً : " إن شاء الرب ، ستقع أنطاكية في أيدينا الليلة " [٢] ومهما كان ريموند السانجيلي يكن لبوهيموند من الحقد والكراهية ، فإنه لم يجرؤ على الكلام ، فبادر هو وزملاؤه ببذل التأييد الصادق للخطة [٣] فما كان لهم إلا أن يباركوا الفتح . [٤]

تقول المؤرخة البيزنطية أنا كومنينا عن خطط بوهيموند وبحثه عن مصلحته الشخصية التي قدمها على القضية الصليبية [٥] : " لم يكن بوهيموند الخبيث المحب للسلطة يطمع في السلطة حبًا منه للاتين ، ولا سعيًا منه للصالح العام الذي يعود عليهم بالنفع ، ولكنه كان يؤثر ذلك لمجده الشخصي ، ونجحت خططه ومؤامراته وحيله في أن تؤتى ثمارها فجناها شهية وفي يُسر ، كما دل عليه سير الأمور ، فقد أجمع الكونتات على الموافقة على ما اقترحه بوهيموند وشرعوا في العمل " .

وتم بالفعل مخطط بوهيموند وفيروز الزراد الذي وعده بدخول المدينة عن طريق الخيانة بأن يسلمه أحد الأبراج الموكل بحراستها ، ففي هذه الأثناء حمل

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق . ص ١٣٥ .

[*] كان فيروز الزراد في خدمة ياغي سيان ويطلق عليه اسم بيروس pirus وبيرهوس Pyrrhus وفيروس Firous وله عدة أسماء أخرى ويسميه ريموند إجيل " التركي " . ريموند إجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس .ص ١٢٣ حاشية (١) .

[٢] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس. ص ١٨٣ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية. جـ١ ص ٣٤٩ .

[٤] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى .ص ١٣٢ .

[٥] الكسياد : ص ٤٢٧ .

بعض أتباع بوهيموند رايته إلى تل مشرف على المدينة وركزها في مكان بارز للعيون على مرتفع قرب القلعة العليا ، وتمكن جيشنا . كما يقول وليم الصوري . من دخول المدينة بعد أن استولى على أبوابها وأبراجها وأسوارها من غير مشقة ولا كلفة ، وأخذت رايات الزعماء ورنوكهم المعروفة للجميع تخفق من أعلى الأماكن رمزًا للنصر الذي أحرزوه . [١]

وامتلأت شعاب المدينة وطرقاتها بجثث القتلى ، حتى غدا من المستحيل السير فيها للرائحة النتنة المتصاعدة منها ، ولم يتمكن واحد من السير في الطرقات إلا على جثث القتلى [٢] ويقال إنه قتل ذبحًا في هذا اليوم ما يربو على عشرة آلاف من الأهالي ، واكتظت الشوارع في كل مكان بجيف القتلى التي لم تجد أحدًا يواريها ، فبقيت حيث هي . [٣]

وهكذا سقطت أنطاكية في أيدي الصليبيين ، وفرش حماة الصليب طريقهم إلى بيت المقدس بجثث القتلى من الأهالي العُزل والملاحظ أن المصادرالأوروبية أفاضت في بيان الدور الذي قام به أدهيمار في حصار وسقوط أنطاكية ، لكنها لم تذكر حرفًا واحدًا عن دور أدهيمار في هذه المذابح البشعة ، ربما حفاظًا منهم على مكانته الدينية كقائد روحي في المقام الأول لهذه الحملة ، أما أدهيمار نفسه فإنه إذا لم يكن قد أمر بهذه المذابح في صفوف المسلمين فإنها لم تسؤه .

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية. جـ ١ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

[٢] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية .جـ٦ ص ١٣٠ .

[٣] وليم الصوري : الحروب الصليبية .جـ ١ ص ٣٥٩ .

حصار الصليبيين داخل أنطاكية

كان الاستيلاء على أنطاكية فى اليوم الثالث من شهر يونيو سنة ١٠٩٨م/ ٤٩٢هـ [١] ، ولما وصل كربوغا [*] بمن معه من جموعه التى لا تحصى قاصداً المساعدة ، وجد المدينة قد سقطت فى أيدي أعدائه ، فحفر خندقاً يضع فيه متاعه وتأهب لمهاجمة البلد ، واحتشد اللاتين خلف الأبواب وقد تعرضوا لخطرين : أحدهما من ناحية الحامية المدافعة عن القلعة التى كانت لا تزال فى أيدي المتبربرين . على حد وصف المؤرخة البيزنطية . وثانيها خطر الترك الموجودين خارجها . [٢]

فقد تجمعت عساكر الشام فى العدد الذى لا يدركه حصر ولا حزر وقصدوا أنطاكية للإيقاع بعساكر الإفرنج ، فحصروهم حتى عدم القوت عندهم ، حتى أكلوا الميتة [٣] وتقوت الأقوياء بدوابهم ، والضعفاء بالميتة وورق الشجر [٤] ، ولم يفض المؤرخون المسلمون فقط فى تصوير المجاعة القاتلة التى تعرض لها الصليبيين داخل أسوار المدينة ، بل صورها بصورة أدق المؤرخون الأوروبيون أيضاً ، يقول المؤرخ المجهول عن هذه المجاعة [٥] : " كان كل شئ يباع بأثمان يالية ولهذا عمت المجاعة ، واشتدت نكبتها ، حتى أخذ بعضهم يقيم المطابخ التى يقدم فيها

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٦١ .

[*] كربوغا : هو قوام الدولة أبو سعيد كربوغا صاحب الموصل توفى فى ذى القعدة سنة ٤٩٦هـ عند مدينة خوى . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ١٠ ص٣٤١ .

[٢] أنّا كومنين : ألكسياد . ص٤٢٨ .

[٣] ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق . ص١٣٦ .

[٤] ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ١٠ ص٢٧٦ .

[٥] الجستا : الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . جـ٦ ص١٤٤ .

للناس أوراق التين والعنب " ، حتى أرواث الحيوانات وضعوا عليها الكمون والتوابل الأخرى وأكلوها ، هكذا كانت المجاعة قاسية [١] ، حتى إنهم تمنعوا بكل صعوبة عن أكل لحوم البشر [٢] ، بل إنهم كانوا ينبشون الأرض ويخرجون منها جيف الحيوانات المخنوقة أو التى ماتت بالطاعون ويقبلون على التهامها ، ولم تصب هذه الكارثة . المجاعة . العامة وصغار الناس وحدهم فحسب ، بل جاوزتهم أهوالها فمست كبار الزعماء [٣] ، فمن كان محاصراً بالأمس أصبح محاصراً اليوم ، وأمام هذا الموقف الصعب ، كان لابد على المندوب البابوي أدهيمار دي مونتيل من أن يظهر مواهبه للتصدي لهذه الكارثة .

حاول أدهيمار أسقف لى بوي عبثاً أن يدبر المساعدة للحجاج المعوزين[٤] لكن الكارثة كما ذكر وليم الصوري آنفاً كانت عامة وأصابت علية القوم وأراذلهم لذا كان لابد له من أن يبحث عن حل آخر لهذه الكارثة ، فلم يجد أمامه إلا توظيف الدين لخدمة القضية الصليبية .

أمر أدهيمار بعد موافقة الجميع بالصوم ثلاثة أيام ، وأن يعترف الجميع بخطاياهم بقلب نقي ، وأن يشاركوا بعضهم البعض فى الطعام ، فصاموا الثلاثة أيام فى خضوع تام ، مجتمعين حول الكنائس راجين رحمة الرب [٥] ، لكن فى الواقع كان الجميع فى صيام طوال الوقت ، وكان رجل واحد من بين كل سبعة يحتضر من

---

[١] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة . جـ٥١ ص٩١ .

[٢] أوتو أسقف فريزنغ : المدينتان . الموسوعة الشاملة . جـ٢٨ ص٣٣١ .

[٣] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٨٣ .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٥٦ .

[5] Robert the Monk : History of the First Crusade. historia iherosolimitana translation , 11. Carol Sweetenham Ashgate Publishing , England . 2006 , P. 167 .

الجوع [١] ، ولم تكن المجاعة القاتلة هي الخطر الوحيد الذى كان يتهدد الصليبيين داخل أسوار أنطاكية ، وبالتالي نهاية الحركة الصليبية برمتها ، بل كان هناك خطر آخر يهددهم أيضاً ، وهو الفرار الفردي والجماعي من قبل الصليبيين أنفسهم ، للنجاة من جحر الضب الذى وضعوا فيه أنفسهم بأيديهم .

عندما قرر الإمبراطور البيزنطي العدول عن المسير إلى أنطاكية خوفاً من القضاء على جيشه من قبل قلج أرسلان وكربوغا ، سمع الحجاج بهذا القرار وامتلأت قلوبهم حزناً ، واجتمع الدوق جودفرى مع روبرت الفلاندرز والأسقف ، وأعلموا الحجاج بالإجراءات التالية : لا تخافوا من تراجع الإمبراطور ، إن الرب قوي وقادر أن يحررنا من أيدي الأعداء ، يجب أن تقووا حبكم للمسيح ، ولا تخدعوا إخوانكم بمغادرتكم للمدينة سراً والهرب ، وإذا هربتم من الخوف سيلحق بكم أتباع كربوغا ويقتلوكم ، وأبقوا هنا ، فالأفضل أن نموت باسم الرب مطمئنين على أن لا نقدم على الهرب " ، بعد هذه الكلمات التى أعطتهم الطمأنينة قرروا البقاء مع إخوانهم ، والموت معهم . [٢]

غير أن اليأس من الحياة دفع بعضاً من وجوه الرجال إلى عقد اجتماع خاص ، قرروا فيه أن يغتنموا هذه الليلة الفرار خلسة إلى الشاطئ ، تاركين وراءهم الشعب وجيش الحجاج بأكمله ، غير أن خبر تدبيرهم هذا بلغ سمع الدوق بوهيموند ، وأسقف بوي الموقر ، فاستدعيا إليهما هؤلاء المذنبين وأسرفاً فى تأنيبهم التأنيب المر ، وذكراهم أن وصمة العار الأبدية ستطبعهم هم وذراريهم بمبسمها ، إن هم خرجوا على ما يفرضه عليهم شرفهم وكريم أصولهم ، أو إذا انسحبوا من هذا

---

(1) Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 312 .

[٢] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة . جـ٥١ ص٩٦ .

الحشد الكبير من المؤمنين بالمسيح . [١]ولم يكتف أدهيمار بالاشتراك مع بوهيموند فى توجيه التأنيب وكلمات الوعظ والإرشاد لمن حاول الفرار من أنطاكية من جموع الحجاج الصليبيين ، بل قام بعدة إجراءات عملية للحد من هذه المشكلة التى لو استمرت فإنها ستعصف بالكيان الصليبي من الأساس ، يقول بطرس توديبود عن إحدى هذه الإجراءات [٢] : " اجتمع قادتنا وقرروا حينئذ أن يقسموا على أن لا يهرب أحدهم من أنطاكية حياً أو يهرب من الموت أو يحاول إنقاذ حياته ، فرفعت أنباء هذا القسم من معنويات الجيش المسيحي كله بدرجة كبيرة " ، ومن الإجراءات العملية أيضاً أنه تم إغلاق أبواب أنطاكية بناء على أوامر بوهيموند وأدهيمار ، فمنع الجلاء الكامل عن المدينة ورغم كل الاحتياطات فقد هرب عدد كبير من رجال الدين والعوام . [٣]

أخذ الجيش يتناقص ويتضاءل عدده يوماً بعد يوم ، بسبب المجاعة والفرار ، فرأى أدهيمار أنه لابد من الاستنجاد بالغرب،كيما يرسل إمداداً [٤] ، وقال فى رسالته : " إن عددنا قليل بالنسبة للمسلمين ، والواقع أن الله يدافع عنا " [٥] ، فأرسلت من قبرص إلى أنطاكية لحوم الخنزير المقدد والفاكهة والنبيذ وكل ما أمكن جمعه ، لكنها لم تفعل شيئاً يذكر لتخفيف المجاعة العامة.[٦]

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٩٥ .

[٢] تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس : ص٢٠٧ .

[٣] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص١٣٢ .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٣٥ .

[٥] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٦٨ .

[6] Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 313 .

موقف أدهيمار من الحربة المقدسة

بعد اجتياز الصليبيين للقسطنطينية زادت درجة تقديسهم للآثار المقدسة ، حيث استطاعوا جمع كمية كبيرة من هذه الآثار [١] ، فكانت تقوي المؤمنين فى العصر الوسيط تحتاج إلى دلائل محسوسة يمكن أن تستند إليها ، ومن بين هذه الدلائل ، تعتبر الآثار المقدسة . من مخلفات للقديسين وخلافه . موضع اشتهاء عظيم من جانب الحجاج الذين طلبوا شفاعة الشهداء والقديسين عندما يصلون أمام قبورهم أو آثارهم [٢] ، ولاسيما لو كانت هذه الآثار خاصة بالسيد المسيح عليه السلام حسب الاعتقاد المسيحي .

أمام الوضع الراهن فى أنطاكية من حيث المجاعة والفرار ، بدا أن الصليبيين بحاجة إلى معجزة تفتح أمامهم سبيل النجاة ، ولم يتأخر رجال الكنيسة فى تلفيق هذه المعجزة ، إذ خرج قسيس بروفنسالي [*] على الصليبيين بحكاية عن رؤية مقدسة أخبرته عن مكان الحربة التى طعن بها المسيح منذ أحد عشر قرناً من الزمان ، وربط بين العثور على هذه الحربة وبين النصر . [٣]

---

[١] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٧٣ .

[٢] ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ص٣٦٥ .

[*] بروفانس Provence : كانت قلب مملكة مستقلة فى أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر لكن بحلول أواخر القرن العاشر ، لم تزد عن مقاطعة تركزت على مدينة أرلز Arles .
Constance Bouchard : the kingdom of the Franks to , 1108 . The New Cambridge medieval history . Vol, IV. Part, 2 . P. 142 .

[٣] د. قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية . ص١٢٦ .

يقول ريموندا جيل عن هذا الأمر [١] : " فى أعقاب الاستيلاء على أنطاكية أظهر الرب قدرته وإحسانه ، بأن اختار فلاحاً بروفنسالياً يعزينا ويسلم الرسالة التالية لريموند وأدهيمار " ، فقد زعم هذا القسيس الذى يدعي بطرس بارثليميو أمام أسقف بوي وكونت تولوز بأن الحواري المبارك أندروز [*] كان قد ظهر له فى المنام ثلاث أو أربع مرات متتالية وأمره أن يبادر ما وسعه البدار إلى إخبار القادة أن الحربة التى طعن بها السيد المسيح فى جنبه مدفونة فى كنيسة أمير الحواريين [**] ، وعليهم أن ينشطوا كل النشاط فى التفتيش عنها فى البقعة التى بينها له الحواري بعلامات مميزة . [٢]

وقد تباينت ردود الأفعال والأقوال تجاه اكتشاف هذه الحربة المقدسة ، فإن الكونت ـ ريموند السانجيلي ـ صدقها فى الحال ، ووضع بطرس بارثليميو ـ صاحب الرؤيا ـ فى حراسة قسيسه ريموندا جيل " المؤرخ " [٣] ، فكانت الحربا مصدر ربح لريموند السانجيلي ، لأن العطايا انهالت عليها [٤] ، أما الأسقف أدهيمار فذكر

---

[١] تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس : ص١٢٧ .

[*] القديس أندروز St. Andrew : حواري من حواري السيد المسيح ، والاسم فى الأصل يوناني ، لكنه كان مستعملاً بين اليهود فى عهد السيد المسيح ، وهو يتمتع بمكانة كبيرة فى الإنجيل .

[**] كنيسة أمير الحواريين : هي بيعة القسيان فى وسط أنطاكية وتعرف بكنيسة بطرس وهي هيكل طوله مائة خطوة ، وعرضه ثمانون ، وعليه كنيسة على أساطين . ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب . جـ١ ص٨٥

The Catholic Encyclopedia . Vol. 1 . PP. 404 – 403 " St. Andrew" .

[٢] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٩٦ .

[٣] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص١٣٠ .

[٤] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٧٦ .

ريموندا جيل بأنه كان قد تشكك فى حقيقة الحربة [١] ، وذكر فوشيه الشارتري بأن الأسقف أدهيمار لم يصدق هذه القصة . [٢] فقد تضايق الأسقف أدهيمار ، لأنه لاحظ وجود حربة مقدسة فى الذخائر المقدسة بالقسطنطينية ، كما كان يعلم بأن بطرس بارثليميو سيئ السمعة ، ولا يمكن الاعتماد عليه [٣] ، وأراد أدهيمار أن يدحض أقوال بطرس بارثليميو فذكر أن بالقسطنطينية حربة ثبت أنها الحربة المقدسة ، فكيف تجوز التثنية والمسيح لم يطعن بغير واحدة ؟ فما كان لأديمار إلا أن يكذب أقوال بطرس بارثليميو الذى هاجمه حين زعم أن القديس أندرو أوصى إليه أن يطلب منه الرجوع إلى واجباته الدينية ، وكيف يرقى شخص كبارثليميو أن يقف موقف الإرشاد والإصلاح والتوجيه من أديمار أسقف لى بوي ونائب البابا وقائد الحملة الروحي الذى له وحده دون غيره أن يصدر قرار الحرمان وأن يغفر وأن يجب الخطايا . [٤]

وبعد وفاة أدهيمار أعلن النورمان وفرنسي الشمال صراحة بأن بطرس بارثليميو كان دجالاً ، وأن الحربة المقدسة زائفة ، وأعادوا ادعاء أدهيمار بأنه شخص لا يوثق فيه [٥] ، أما عن تأثير اكتشاف الحربة المقدسة فى الروح المعنوية لجحافل الصليبيين ، فقد انتشر خبر العثور عليها بين جميع المقاتلين الصليبيين ، انتشار النار فى الهشيم ودب فيهم حماس غريب ، وامتلأت نفوسهم روحانية هائلة ، كما قويت عزائمهم على القتال . [٦]

---

[١] تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس : ص٢٠٠ .

[٢] تاريخ الحملة إلى القدس : ص٥٩ .

[3] Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 321 .

[٤] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص١٣٩ . ١٤٠ .

[5] Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 321 .

[٦] د. تيسير بن موسى : نظرات عربية على غزوات الإفرنج . ص٧٦ .

دور أدهيمار فى فك الحصار عن أنطاكية

بعد أن اشتد خطر حصار المسلمين للصليبين داخل أنطاكية ، وعد كل الصليبيين بإتباع أوامر بوهيموند لمدة خمسة عشر يوماً بعد القتال ، بحيث يمكنه أن يدبر أمر حماية أنطاكية ، ويضع خطط القتال [١] ، فرأى القادة أن حماسة الناس إنما هي أمر علوي ، فاجتمعوا للتشاور ، واتفق إجماعهم على أن يرسلوا وفادة إلى القائد العام لعسكر العدو تقترح عليه الأخذ بواحد من اثنتين : إما أن يرحل ويترك المدينة للصليبين ، وإما أن يستعد للقتال ، ويكون السيف هو الحكم بين الفريقين[٢]، وكانت هذه السفارة من لدنهم يوم ٢٧ يونيو ١٠٩٨م /٤٩٢هـ لكنها فشلت فى الوصول إلى حل ، وبدى للصليبين حينذاك ألا مفر من قتالهم المسلمين . [٣]

قبل أن يخرج الصليبيون لملاقاة قوات المسلمين المحاصرة لهم فى أنطاكية قاموا بتشكيل ست فرق داخل أنطاكية ، ضمت الفرقة الرابعة أدهيمار أسقف لى بوي [٤] ، وتخلف الكونت ـ ريموند ـ نفسه فى المدينة ليحميها [٥] ، حيث اشتدت وطأة المرض بكونت تولوز فى هذا الوقت ، فخلّفوه وراءهم لحماية المدينة ، إذ لازالت قلعتها فى قبضة الترك الذين خيف على المدينة منهم ، أن يظنوها بلا مدافع بسبب غياب الزعماء ، فيحاولون الإغارة عليها ، ومباغتة من بها من الشيوخ

---

[١] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص١٤١ .

[٢] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٩٨ .

[٣] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص١٤٢ ـ ١٤٣ .

[٤] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص٢٢٩ .

[٥] فوشيه الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس . ص٦٣ .

العجزة والنساء وغيرهم [١] ، فتألف الجيش الرابع من عساكر تولوز وبروفانس بقيادة أسقف لى بوي . [٢]

قام تنظيم القتال على أساس وجود طابورين مزدوجين من البروفنساليين من قوات ريموند وأدهيمار ، مع مشاة فى المقدمة ، يهاجمون أو يتوقفون طبقاً لأوامر قادتهم ، ثم يتبعهم الفرسان كحرس مؤخرة [*] ، وسارت قوات بوهيموند بنفس النظام القتالي ، وكان نظام الزحف كما يلي : هيو العظيم ، وكونت الفلاندرز ، وكونت نورماندي أولاً ، ثم الدوق ـ جودفرى ـ والأسقف ، وأخيراً بوهيموند ، وبهذه الطريقة وقفوا فى صفوفهم الفعلية تحت المدينة وأمام باب الجسر . [٣]

قبل الهجوم المضاد الذى شنّه الصليبيون لفك الحصار الذى وقعوا فيه فى أنطاكية ، عرض أدهيمار الحربة على كل القادة على التعاقب ، غير أنهم جميعاً رفضوا حملها على أساس أنهم يرغبون فى المشاركة الفعلية فى القتال ، لذلك وافق أدهيمار على حملها بنفسه [٤] ، غير أن القول مختلف حول حامل الحربة المقدسة ، أكان هو أديمار أم ريموندا جيل المؤرخ [٥] ، فذكر المؤرخ المجهول بأن أسقف لى لى بوي قاد الفرقة الرابعة وحمل معه حربة المخلص [٦] ـ السيد المسيح كما يطلق

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٤٠٦ .

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٠ .

[*] كان المشاة مرتبين فى صفوف أمام الفرسان ، بحيث وقفوا حائلاً بين الفرسان والعدو . ر. سى . سميل : فن الحرب عند الصليبيين . ص٢٥٧ .

[٣] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص١٤٣ .

[٤] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٧٧ .

[٥] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص١٤٤ .

[٦] الجستا : الموسوعة الشاملة . جـ٦ ص١٤٨ .

عليه المسيحيون ذلك . وذكر وليم الصوري بأن أديمار كان يحمل حربة السيد المسيح [١] ، وذكر أيضاً روبرت الراهب بأن الذى حمل الحربة المقدسة فى المعركة هو أسقف لى بوي [٢] ، على الرغم من أن هذه الروايات الآنفة الذكر تتعارض مع ما سبق ذكره بأن أدهيمار قد رفض هذه الفكرة من بدايتها ، إلا أنه يمكن التوفيق بين هذه الروايات بأن أدهيمار أنكر الحربة بالفعل فى البداية ، ولكن ما إن شاهد الأثر الذى أحدثته فى نفوس جمهور الصليبيين . بالرغم من قناعته بزيف هذه الحربة . أراد أن يوظفها كعادته فى خدمة القضية الصليبية ، فحملها فى المعركة بنفسه ليضفي عليها نوعاً من القداسة إلى قداستها الزائفة على أساس أن حاملها هو القائد الروحي ومندوب البابوية فى الحملة فتحدث الغاية المرجوة منها فى ساحة المعركة .

غير أن هذا لا يمنع من وجود راية خاصة لأدهيمار دى مونتيل فى ساحة هذه المعركة كان يرفعها أحد أتباعه ، فقبل اندلاع المعركة مع كربوغا لفك الحصار عن أنطاكية أورد فوشيه الشارتري بيت شعر يقول فيه : " انظر لقد حضر الفرنجة ، أهرب الآن أو حارب بشجاعة ، لأنني أرى علم البابا متقدماً "[٣] ولا يوجد من بين القادة الصليبيين من له حق رفع علم البابوية غير مندوبها فى حربها الأسقف أدهيمار دي مونتيل ، بل إن فوشيه الشارتري أكد فى نفس الموضع على أن العلم هو علم أدهيمار فقال [٤] : " قبل اندلاع المعركة كان علم أسقف لى بوي يتقدم فى الفصيلة الثالثة " ولعل هذا خطأ من الشارتري حيث إن أدهيمار باتفاق آراء

---

[١] الحروب الصليبية : جـ١ ص٤٠٥ .

[3] Robert The Monk : P. 167 .

[٣] تاريخ الحملة إلى القدس : ص٦٢ .

[٤] تاريخ الحملة إلى القدس : ص٦٢ .

المؤرخين . كما ذكر آنفاً . كان قائداً للفرقة الرابعة فى هذه المعركة .

ولم يكتف أدهيمار دى مونتيل باشتراكه فى قيادة إحدى الجيوش المستعدة لقتال كربوغا ، بل كان يشرف على بقية الجيوش ويتابع أمورها استعداداً لخوض المعركة الحاسمة مع المسلمين خارج أسوار أنطاكية ، ففي هذا التوقيت لم يبق مع الصليبيين سوى ١٠٠ أو ٢٠٠ حصان على قيد الحياة [١] ، حيث كانت الغالبية العظمى من الخيول الباقية قد ماتت من شدة البرودة والجوع ، والبعض الآخر من تلك الخيول ذبحها الصليبيون وأكلوها على الرغم من أن كثيراً من الصليبيين رفضوا ذبح خيولهم واكتفوا بسد حاجتهم الشديدة للطعام بأن فصدوا خيولهم وشربوا من دمائها [٢] ، وقد عالج أدهيمار هذه المشكلة وصور لنا فوشيه الشارتري هذا العلاج بقوله [٣] : " آه للورع الذى يؤدي إلى الحذر! فى الليلة السابقة . أى للمعركة . أصدر أديمار أمراً للمنادى : أن يطعم كل فارس فرسه بنصيب أكبر من العلف ، مهما شحّ ، لئلا يسقط الفرس فى اليوم التالي ساعة المعركة منهكاً من الجوع ، صدر الأمر بذلك وتم التنفيذ " .

---

(2) Jonathan Rily Smith : The Crusades , 1095-1198 . The new Cambridge medieval history . Vol, IV . Part. 1, p. 542 .

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٢١ .

[٣] تاريخ الحملة إلى القدس : ص٦٢ .

اجتمع الفرسان وهم يلبسون الدروع والخوذ ، ونظموا أنفسهم داخل الأسوار فى صفوف استعداداً للمعركة ، وترأس الأسقف مجموعة الجبال [١] ، كان أول من خرج من المدينة قوات هيو العظيم ، وكونت الفلاندرز ، ثم تبعتها بقية الفرق كل فى دورها ، وبظهور الجيش الصليبي خارج المدينة ، استبد الذعر بكربوغا عندما رأى ما كان عليه الجيش الصليبي من حجم كبير [٢] ، ولم يكد الصليبيون يخرجون من الباب ، حتى حث وثاب بن محمود القائد العربي ، كربوغا بأن يبادر إلى مهاجمتهم ، غير أن كربوغا خشى أنه إذا أسرع بقتال الصليبيين ، فإنه لن يحطم سوى مقدمتهم ، أما إذا انتظر ، فإنه سوف يتخلص بضربة واحدة من كل القوات الصليبية . [٣]

كانت ثمة أرض مرتفعة على بعد نحو ميلين أمام الفرنجة عند مغادرتهم المدينة ، فأعطيت الأوامر إلى مقدمة الفرقة الثالثة بالوصول إلى ذلك المرتفع قبل أن تدور بتشكيلة الخط ، وبعد أن قامت بذلك أصبح جناح الفرنجة الأيسر محمياً بينما كان جناحها الأيمن مستندا إلى النهر ، فخلال الأشهر التى تلت معركة دوريليوم كان القادة اللاتين يتجنبون الوقوع فى الطوق ، بالبحث عن حماية مانع طبيعي يقي جناحي خط الصليبيين فى المعركة . [٤]

قاوم السلاجقة محاولات الفرقة الثالثة التى كان يقودها أسقف لى بوي والتى كانت تهدف للوصول إلى المرتفع ، وكان فى مقدورهم إرسال مفرزة تعترض

---

[١] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة . جـ٥١ . ص٩٩ .

[٢] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص٢٣٠ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٠ .

[٤] ر. سى . سميل : فن الحرب عند الصليبيين . ص٢٥٤ . ٢٥٨ .

مقدمة رتل اللاتين ، فأمرت مجموعة من الصليبيين بمواجهة هجوم مفرزة السلاجقة ، وبرهن المشاة عن قدرتهم الجيدة على الدفاع عن أنفسهم فى هذه المواجهة [١] ، واشتد القتال على الجبهة الرئيسية ، ولقى مصرعه حامل لواء أدهيمار . [٢]

ولما تكامل خروج الفرنج ، ولم يبق بأنطاكية أحد منهم ، ضربوا مصافاً عظيماً ، فولى المسلمون منهزمين ، لما عاملهم به كربوغا أولاً من الاستهانة بهم والإعراض عنهم ، وثانياً من منعهم عن قتل الإفرنج ، وتمت الهزيمة عليهم وغنم الفرنج ما فى المعسكر من الأقوات والأموال والأثاث والدواب والأسلحة ، فصلحت حالهم ، وعادت إليهم قوتهم [٣] ، فقد زحفوا وهم فى غاية الضعف وعساكر الإسلام فى غاية القوة والكثرة ، فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم [٤] وقد أشاد الصليبيون بالدور الذى قام به أدهيمار فى الإعداد والخوض لهذه المعركة وذلك فى خطابهم إلى البابا أوربان الثاني فقالوا له : " إن أسقف لى بوي الذى أرسلته إلينا وكيلاً ، توفى فى أول أغسطس ، وقد حدث ذلك بعد المعركة التى لعب فيها دوراً نبيلاً ، وبعد أن أخضعت المدينة " [٥] ، وكانت هذه الواقعة فى اليوم الثامن والعشرين من شهر يونيو ١٠٩٨م /٤٩٢هـ . [٦]

---

[١] ر . سى . سميل : فن الحرب عند الصليبيين . ص ٢٥٨ . ٢٥٩ .

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧١ .

[٣] ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . جـ١٠ ص٢٧٧ ، ٢٧٨ .

[٤] ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق . ص١٣٦ .

[٥] فوشيه الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس . ص٦٦ .

[٦] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٤١٩ .

موقف أدهيمار من قضية حكم أنطاكية

كان الرجل الوحيد الذى ظل يوحد بين صفوف الصليبيين فى ذلك الوقت دون أن تكون له مطامع الأمراء الشخصية هو المندوب البابوي أدهيمار ، الذى حرص على أن يؤلف بين قلوب الأمراء الصليبيين ويوجههم نحو عمل يتفق وطبيعة المهمة الصليبية التى أتو من أجلها إلى الشرق [١] ، فقد كان أوربان الثاني موفقاً فى اختياره أديمار دي مونتيل نائباً عنه ، لما قام به من دور كبير فى تهدئة الأمور بين الأمراء الصليبيين . [٢]

مع وجود الانقسام بين الصليبيين ، وعدم وجود قائد قومي بينهم ، كان لابد من وجود لجان تنظم أمورهم ، وعلى قمة هذه اللجان كان هناك مجلس الأمراء الذى ازداد فيه عدد الحاضرين من وقت لآخر ، وشارك الأساقفة ممثل البابا فى اجتماعات المجلس أحياناً ، وكان أدهيمار دي مونتيل يسيطر على هذه اللجنة . [٣] وقد قام أدهيمار دي مونتيل بحل الخلافات بين الصليبيين على طول الطريق ، فعندما وصل الجيش الصليبي إلى منطقة كليكيا . بآسيا الصغرى . انفصل عن الجيش بعض القطاعات لتفتح عدداً من المدن الجانبية ، وكاد الخلاف يدب بين بعض الأمراء الصليبيين على امتلاك هذه المدن ، لولا تدخل مندوب البابا حيث عمل على تقسيم الغنيمة بين الأمراء قسمة ضيزى [٤] ، فإن البابا والأساقفة الفرنسيين كانوا على بينة تامة بأن بعضهم على الأقل سوق يشارك فى الحرب

---

[١] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص٢١٩ .

[٢] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص٦٨ .

[٣] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٦٠ . ١٦٥ .

[٤] د. تيسير بن موسى : نظرة عربية على غزوات الأفرنج . ص٧٠ .

الصليبية تحقيقاً للدوافع المادية [١] ، فمنع أدهيمار أطماع الأمراء ومنازعاتهم من أن تلحق الضرر بالحملة الصليبية . [٢]

بعد فك الحصار الإسلامي عن أنطاكية ، قام الكونت ريموند والأسقف أدهيمار مع بقية الأمراء الصليبيين بغارات على المعسكرات التركية والأرياف وهاجموا وسلبوا ونهبوا ممتلكاتها ، فأخذوا كمية كبيرة من الذهب ، والحبوب والخمور والملابس والخيام ، كما أن الذين كانوا فى ساحة المعركة قد أخذوا الغنائم ، وأتوا بها إلى أنطاكية ، وأطعموا الجياع من كل نوع حتى شبعوا [٣] ، فكان الصليبيون الذين مكثوا بأنطاكية . بعد فك الحصار الإسلامي عنها . ينعمون بالسعادة والبهجة ، وكان قائدهم وراعيهم هو أدهيمار أسقف لى بوى. [٤]

يقول بطرس توديبود عن الوضع العام فى أنطاكية بعد فك الحصار الإسلامي عنها [٥] : " اجتمع قادتنا فى كنيسة القديس بطرس ليقرروا كيف يحكمون ويقودون الناس بسداد ، حتى يستأنفوا الرحلة إلى القبر المقدس ، وعقد المجتمعون العزم على عدم الشروع فى دخول بلاد المسلمين فى ذلك الوقت ؛ نظراً لما يسودها صيفاً من جفاف وشدة القيظ ، لذلك حددوا أول شهر نوفمبر موعداً لتجمعهم فى أنطاكية لبدء الرحلة السعيدة إلى القبر المقدس ، ووافق الجميع على هذا القرار الصائب الحكيم " ، غير أن الخلافات العميقة ما بثت أن دبت فى صفوف القادة الصليبيين .

---

[١] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص٧٧ .

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٧ .

[٣] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة . جـ٥١ ص١٠٣ .

[٤] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص٢٥٧ .

[٥] المصدر السابق : ص٢٥٥ .

إن أوربان الثاني أعد حركة ، فاقت كل ما كان يعلم ، إذ أن ما كان يتوقعه ألا يستجيب لهذه الحملة إلا عدد قليل من كبار النبلاء ، فعلى الرغم من أن الحماس الديني كان أقوى الدوافع عندهم جميعاً . باستثناء بوهيموند . فإن ما أعدوه من مشروعات لحيازة الأراضي ، وما كان بينهم من عداوات ومنافسات ، لم تلبث أن خلقت من المتاعب مالم يكن فى وسع المندوب البابوي أن يسيطر عليها . [١]

بعد فك الحصار الإسلامي عن أنطاكية ظهر الصراع الصليبي الداخلي الذى قوض أسس العلاقات الودية ، بحيث أن قلة فقط هي التى كانت تتجنب النزاعات مع الزملاء أو الخدم على السرقة أو العنف ، وفى هذه الظروف لم يكن الكونت ريموند المريض والأسقف . أدهيمار . يقدمان حماية كبيرة لأتباعهما ، ففي أعقاب الانتصار استولى بوهيموند على الأبراج العالية فى القلعة وطرد بالقوة أتباع جودفرى وكونت الفلاندرز ، وكونت سان جيل من القلعة ، وتشجع بوهيموند بهذا العمل الذى مر دون عقاب ، فجاء يطالب بالقلعة وأبواب أنطاكية التى كان يحميها ريموند وأدهيمار وجود فرى فى أيام حصار كربوغا ، واستسلم الجميع باستثناء الكونت ريموند السانجيلي . [٢]

فقد تم عمل اتفاقية بشكل جزئي بين الأمبراطور البيزنطي وكونت تولوز فى خريف ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، وبدء ظهورها للضوء فى نوفمبر من نفس السنة ، عندما طلب ريموند فى اجتماع ضم الصليبيين ، بأن تكون أنطاكية تحت سيطرة الإمبراطور [٣] ، حيث أدرك ريموند أن امتناع الصليبيين عن إعادة أنطاكية إلى

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص١٧٩ .

[٢] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص١٥١ .

[1] The Cambridge medieval history . Vol, VI. P. 339)

الإمبراطورية البيزنطية سوف يفقدهم صداقة الإمبراطور وحسن نيته التى تعتبر لازمة لهم ، لصيانة مواصلاتهم والمحافظة عليها ، وشارك أدهيمار وجهة نظر ريموند ، إذ عزم على أن يتعاون مع المسيحيين الشرقيين ، ولاشك أن سيده البابا أوربان كان يرمي إلى ذلك [١] ، فبمجرد دخول الحملة الصليبية الأولى إلى البلاد ، كان من الواضح أن سياسة أدهيمار أسقف بوى ومبعوث الباب الرسمي هي التعاون مع البيزنطيين الإغريق [٢] ، لذلك فإن ريموند كونت تولوز مع كثرة غيرته من بوهيموند ذكّره بحقوق الإمبراطور ، وكان أدهيمار متفقاً معه فى الرأي . [٣]

إن اليمين التى أقسمها للإمبراطور كل الأمراء باستثناء ريموند ، تطلبت صراحة أنه لابد من تسليم المدينة للإمبراطور ، غير أن بوهيموند كشف فعلاً عن نيته ، بأن يحتفظ بها لنفسه ، وأبدى زملاؤه فيما عدا ريموند استعدادهم للموافقة على ذلك ، إذ أن بوهيموند هو الذى دبر أمر الاستيلاء على المدينة ، وهو الذى أذعنت له القلعة ، كما أن الإمبراطور يقيم بعيداً عنهم ، ولم ينهض لمساعدتهم ، بل إن مندوبه ونائبه تخلى عنهم ، وقد استولوا على أنطاكية وهزموا كربوغا ، دون أن يحصلوا منه على مساعدة . [٤]

أوشكلت المسألة أن تتطور إلى ما هو أسوأ من الاختلاف فى الرأي ، غير أن روحاً من الهدوء الظاهري سادت المعسكر بفضل شخصية أديمار دي مونتيل الذى كان يميل إلى مصانعة الإمبراطور والبيزنطينيين عامة ليكونوا جبهة واحدة فى مواجهة الخطر الإسلامي ، وكان لأديمار من شخصيته ومكانته وساسته إزاء

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٣ . ٣٧٤ .

[٢] ر . سى . سميل : فن الحرب عند الصليبيين . ص٩١ .

[4] Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 324 .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٣ .

التيارات المتضاربة فى المعسكر الصليبي مالا يدع فرصة لمجترئ عليه بالقول أو الإشارة أو الكتابة . [١]

إن ريموند والمندوب البابوي أدهيمار فكرا فى أنه لو كانت اليمين غير سليمة ، فإن الكنسية التى يمثلها أدهيمار أسقف لى بوى ، هي وحدها التى تستطيع أن توزع الممتلكات ، وجرى الوصول إلى اتفاق بعد شئ من النقاش والجدل والتآمر ، وهو إذا كان عساكر بوهيموند هم أول من يدخل إلى المدينة (أنطاكية) وإذا لم يقدم الإمبراطور ، فلابد لبوهيموند أن ينفرد بها ، ومع ذلك فإن ريموند اعترض على هذا القرار [٢] ، واتفقوا على إرسال مبعوثين إلى الإمبراطور . البيزنطي . يدعونه للحضور بذاته فى الحال لمساعدتهم وفاء بالاتفاق الذى أبرمه معهم من قبل . [٣]

عرّج هيو كونت الفلاندرز فى طريق عودته إلى وطنه بإيحاء من أديمار فى أوائل يوليو سنة ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، على الإمبراطور ألكسيوس ليشرح له موقف الصليبيين فى أنطاكية بعد فتحهم إياها لعل ذلك يحثه على القدوم إليها فيحل الإشكال وتتحد الكتلة ، وهكذا وجدت فكرة إرجاع الإمارة إلى صاحبها الشرعي تأييداً من بعض القواد ، كما رأى مؤيدو هذه الفكرة أن مثل هذا العمل من جانبهم لابد وأن يحمل الإمبراطور على مساعدتهم فى هدفهم الأكبر . بيت المقدس . وتزويدهم بالإمدادات والذخائر والنجدات . [٤]

---

[١] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص١٤٧ .

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٤٦ .

[٣] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ٢ ص١٧ .

[٤] د. حسن حبشي : الحملة الصليبية الأولى . ص١٤٧ . ١٤٨ .

إن أدهيمار وريموند كان يأملان فى أن تؤدي سفار هيو فرماندوا إلى أن يبادر ألكسيوس بالقدوم إليهم ، لكن هيو فرماندوا لم يصل إلا بعد الخريف إلى القسطنطينية ، فاجتمع بالإمبراطور وروي له القصة الكاملة للاستيلاء على أنطاكية ، على أن الوقت لم يكن حينئذ ملائماً لأن تجتاز حملته جبال آسيا الصغرى ، ولم يكن من اليسير أن يصل ألكسيوس إلى أنطاكية إلا بعد الربيع المقبل [١] ، وعرف الإمبراطور الأخبار من خطاب القواد الذى أحضره له هيو الفلاندرز ، وهزت هذه الرسالة رُكب الإمبراطور فى اللحظة التى علم فيها بسقوط أنطاكية فى يد بوهيموند وأصبح الإمبراطور غير مخدوع فى الصليبيين وفى تنفيذ وعودهم له . [٢]

كان الكونت ريمون السانجيلي ينزع دائماً إلى الرئاسة والسيطرة ، وإلى فرض إرادته على باقي الفرنج ، ومما لاشك فيه أن وجود الأسقف أدهيمار فى جيشه كان عاملاً هاماً على التخفيف من غلوائه والتوفيق بينه وبين الآخرين. [٣]

لكن وفاة أسقف لى بوى فى أغسطس سنة ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، قوى من موقف بوهيموند ، وأضعف قضية الوحدة مع البيزنطيين [٤] ، وبقيت الخلافات بين القادة بدون حل ، وتأخرت المسيرة إلى القدس عدة أشهر . [٥] فبعد أن أحرز الصليبيون نصراً مؤزراً عند أنطاكية ، ظهرت هناك حقيقة جديدة وواقع جديد ، يختلف عن المثال الذى رفعه الصليبيون ، حيث تفرقت قوات الحملة الصليبية الأولى (حملة الفرسان) وذهب كل قائد يبحث لنفسه عن

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٤ . ٣٧٥ . بتصرف بسيط .

[3] The Cambridge medieval history . Vol, VI. P. 339

[٣] جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص٢٠٥ .

[5] John Hugh Hill : Raymond of Saint Gilles , medieval Academy of American . Vol, 26 . No. 2 (Apr, 1951) . P. 269

[1] Encyclopedia Britannica . Vol, 11 . (adhemar de monteil) .

مكاسب إقليمية فى المناطق المحيطة بأنطاكية ، وفى غضون ستة أشهر قضاها الصليبيون فى أنطاكية تجلى الإفلاس الأخلاقي والأيديولوجي الصليبي ، وكشف زيف الدعاوي والشعارات التى رفعها رجال الدين الكاثوليك فى أوروبا . [١]

[١] يوشع براور : الاستيطان الصليبي فى فلسطين . ص٥٦٣ .

دور أدهيمار الديني فى الحملة الصليبية الأولى

لم يكن الكهنة الذين رافقوا الحملة الصليبية الأولى من صفوة رجال الدين المعاصرة ، فقد عمل عدد كبير منهم لدى بيوت علية القوم ، وبرغم ذلك فقد كانوا يعتدون بأنفسهم ، ومن المرجح أن رجال الدين عاشوا بمعزل عن العامة ، وكانوا تحت رياسة أدهيمار ممثل البابا حتى وفاته فى أول أغسطس١٠٩٨م/٤٩٢ هـ . (١)

كان أدهيمار دى مونتيل قائداً روحياً ودينياً للحملة الصليبية الأولى فى المقام الأولى ، هذا فضلاً عن أعماله ومشاركاته العسكرية والسياسية الآنفة الذكر ومن ثم فقد عمل على دعم الحملة دينياً وكأن بابا روما متواجداً بالفعل بين صفوف الصليبيين ، بل أحياناً كان يقوم بتوظيف الدين لخدمة الحركة الصليبية ، حتى وإن لم يكن فى نصوص المسيحية ما يدعم أرائه ومقترحاته الدينية ، وعليه فقد قام بدور ديني كبير لم يشاركه فيه أحد من قادة الصليبيين طوال زحف الحملة الصليبية نحو الشرق سعياً إلى بيت المقدس أو إلى القبر المقدس كما كان يدعى الصليبيون .

كان فى مقدمة أعمال أدهيمار الدينية التى قصد بها خدمة الحملة الصليبية ما يعرف بالمواكب الدينية ، فبعد أن داهم زلزال معسكر الصليبيين عند أنطاكية فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٠٩٧م / ٤٩١هـ ، لم يكتف أدهيمار بأمر رجال الدين بإقامة الصلوات والقداسات ، وإنما أمرهم بالسير فى مواكب ، فقد كان أمراً شائعاً فى ذلك العصر أن تجد مخاوف الصليبيين وآمالهم متنفساً لها فى صورة مواكب تكفيرية ، وفى أواخر يونيو ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، أثناء الاستعدادات التى استغرقت ثلاثة أيام

(١) جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٤٩ .

قبل أن يقوم الصليبيون الذين كانوا داخل أنطاكية بشن هجمة مفاجئة لفك الحصار الذى ضربه كربوغا حولهم ، كانت هناك مواكب دينية سار الجميع فيها حفاة من كنيسة إلى أخرى داخل المدينة [١] ، فقد نظم أدهيمار هذه المواكب عبر الشوارع . [٢]

ومن الخدمات الدينية التى قدمها رجال الدين بأوامر من أدهيمار ، موارات جثث القتلى فى المعارك التراب ، والقيام بما يلزم ذلك من طقوس دينية ، من ذلك قول ألبرت فون آخن عن الوضع بعد نهاية معركة دوريليوم [٣] : " أما الرهبان والأساقفة والكهنة ، فقد دفنوا جثث الموتى الصليبيين فى الأرض ، وصلوا عليهم ، وأودعوا أرواحهم المؤمنة وتركوها بين يدي يسوع المسيح " ، ولاشك أن قيام رجال الدين بهذه المهمة وعدم تركها لحفاري القبور ، كان لها وقع كبير فى نفوس من بقى على قيد الحياة من الصليبيين ، إذ اطمأن كل منهم على حياته الأبدية التى سيبدأها على يد الرهبان والأساقفة ، فكان هذا دافعاً لهم للموت والتضحية فى سبيل الصليب ، وهذا ما كان يرجوه أدهيمار وسيده البابا أوربان الثاني صانع الحركة الصليبية .

عندما كان الصليبيون يقعون فى منزلقات صعبة لا مخرج منها ، كان أدهيمار دى مونتيل يتدخل دينياً للخروج بهم من هذه المنزلقات ، من ذلك عندما تعرض الصليبيون للمجاعة كما ذكر آنفاً ، جاء الحل الديني من أدهيمار الذى أمرهم بفرية الصوم .

---

[١] جوناثان سميت : الحملة الصليبية الأولى . ص١٥٧ .

[2] Encyclopedia Britannica . Vol, 11 . (adhemar de monteil) .

[٣] تاريخ الحملة الصليبية الأولى : الموسوعة الشاملة . جـ٥١ ص٤٥ .

إن أدهيمار حّث الناس على أن يصوموا ثلاثة أيام ، وأن يصلوا ويتصدقوا ، ويقيموا مواكباً ، كما أمر الكهنة بإقامة القداسات . [١]

فقد كانت الحملة الصليبية . عموماً . خير تعبير عن مشاعر التوبة المتأججة فى صدور الصليبيين ، فقد عبرت مشاعر التوبة عن نفسها فى صورة تقديم الصدقات والصوم ، فقد صام الصليبيون فى آخر يونيو ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، قبل مغادرة مدينة نيقية ، ووضع أدهيمار سُنّة جديدة تتمثل فى الصيام ثلاثة أيام وذلك بعد وقوع زلزال فى ٣٠ ديسمبر ١٠٩٧م /٤٩١ هـ ، وقبل معركة أنطاكية التى دارت رحاها فى ٢٨ يونيو ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، ولا ريب أن هذا الصيام المتكرر كان له وقع كبير فى نفوس الصليبيين ، فما كان بإمكانهم أن يمتنعوا عن هذا الصيام لأن عدم الصيام كان يعني ازدياد حدة مشكلة المجاعة التى كانوا يعانون منها بالفعل . [٢]

كان بالجيش عناصر منحلة وسط هذا الحشد الهائل والمتنوع من الجند ، بل إن هذا الجيش عاني المشكلات المتعلقة بالجريمة وفساد الأخلاق ، وكانت كثرة عدد النساء . سواء اللاتي جئن من أوربا للحج ، أو النساء الشرقيات . تمثل مشكلة خاصة ، ولكنها كانت مشكلات فردية ، وذلك لأن قوانين وشرائع الحج كانت تقضي بالامتناع عن ممارسة العملية الجنسية ، وكان الحل الذى توصل إليه أدهيمار اللوبوى بسيطاً ، فمع بداية ظهور المجاعة فى ديسمبر سنة ١٠٩٧م /٤٩١ هـ ، أصدر قراراً بطرد كل النساء من معسكر الرجال سواء المتزوجات أو

[١] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص٩١ .

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٥٨ .

غير المتزوجات [١] ، اعتقاداً بأن قذارتهن فى عبث الحياة الصاخبة قد أغضب الله ، وبحثت هؤلاء النسوة عن ملجأ لأنفسهن فى القرى المجاورة.[٢]

لقد جعل الصليبيون الإعدام عقوبة للفحشاء والفجور بشتى أنواعه ، وصدر قرار الحرمان على المُجَّان والسكيّرين ، ولما تقررت هذه القواعد ووافق عليها بالإجماع عينوا قضاة وكّلوا إليهم مراقبة هذه الآثام ، ومنحوهم كل السلطة فى الكشف عن أصحابها ، وإنزال العقاب بهم [٣] ، فقد فكر قادة الجيش والأمراء والأسقف ـ أدهيمار ـ والرهبان فى اتخاذ قرارات حاسمة وشديدة للحفاظ على الحجاج وتمنع غش الصليبي لأخيه عند إجراء صفقة تجارية ، وكان كل ذلك من أجل العودة إلى الرب وغسل الذنوب والتخلص من الأدران التى علقت بهم ، وقد أمسك برجل وامرأة فى حالة الزنا ، فجلبا عاريين إلى أمام الجيش وأيديهما مربوطة إلى ظهورهما وضربوا بالعصى حتى أصبح الدم يسيل منهما ، ثم ساروا بهم فى كل المعسكر ، لكي يرى الآخرون الفظاعة التى حلت بهما ، ليتعظوا ويخافوا . [٤]

هذا ولما كانت العمليات العسكرية ونجاحها هي المعول الأول فى ضمان بقاء الصليبيين فى الشرق الإسلامي ، واستمرار زحفهم نحو بيت المقدس ، فإن أدهيمار دى مونتيل لم يدخر وسعاً فى دعم هذه العمليات دينياً فضلاً عن مشاركته فيما كما ذكر آنفاً .

فى أنطاكية سنة ١٠٩٧م /٤٩١ هـ ، قال أدهيمار : إن كل محاربي

---

[١] جوناثان سميت : الحملة الصليبية الأولى . ص١٦٣ ـ ١٦٤ .

[٢] فوشيه الشارترى : تاريخ الحملة إلى القدس . ص٥٥ .

[٣] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٠٠ ـ ٣٠١ .

[٤] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة . جـ٥١ ص٦٨ .

الصليب الذين مكثوا فى منازلهم مرتدين ، ويجب طردهم كنسياً [١] ، كما أصدر الأساقفة فى الجيش قرار الحرمان الكنسي ضد من تقاعسوا عن خوض القتال [٢] ، فقد اعتبر أدهيمار ومساعديه من صغار الأساقفة أن كل من نوى الخروج مع الحملة وتقاعس عن الخروج ، أو خرج وتقاعس عن القتال فى منزلة المرتد الخارج عن ملة المسيح ، ونسى هو ومساعديه بأن تعاليم المسيحية لا تدعو إلى القتال بأي حال من الأحوال ، لكنه طوَّع تعاليم الدين لخدمة المشروع البابوي .

ومن هذا المجال أيضاً أن رجال الدين قاموا بوضع سلسلة من صيغ القسم المقدس التى كان لها أثر كبير فى جعل الجيش الصليبي متماسكاً ، ومن الممكن اعتبار هذا القسم المقدس نوعاً من التجديد للنذور القديمة الأولى . كما هو الحال فى مؤتمر كليرمونت . وربما عند بدء محاصرة نيقية وعند بدء محاصرة أنطاكية ، أقسم الصليبيون على مواصلة تطويقهم للمدينة إلى أن تسقط مهما تكن مدة الحصار ، وأقسم كل من روبرت النورماندي ، وجودفرى البويوني ، وروبرت الفلاندري بألا يهربوا من المعركة بعد أن شاهدوا علامات الهروب الجماعي الذى حدث من مدينة أنطاكية فى يونيو ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ [٣] ، عندما كانت المدينة تحت حصار المسلمين .

كان أدهيمار مسئولاً إلى حد كبير عن الحفاظ على معنويات الجيش أثناء حصار أنطاكية من خلال مختلف الشعائر الدينية بما فيها شعائر الصيام [٤] ، فكان القداس يقام بانتظام ويتكرر قبل خوض المعارك المهمة ، كما حدث قبل معركة

---

(1) Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 324 .

(٢) جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص٨٠ .

(٣) المرجع السابق : ص١٥٩ .

(4) Encyclopedia Britannica . Vol, 11 . (adhemar de monteil) .

أنطاكية [١] لفك الحصار المضروب عليها من قبل المسلمين .

لما بزغ فجر اليوم التالي ـ يوم المعركة ـ أقام القسس ورجال الدين الخدمة الدينية فى كل الكنائس ، وراح القسس يطوفون بين صفوف العسكر ، وحيث يتجمع الناس ، وعليهم ثيابهم الكهنوتية حاملين الصلبان وصور القديسين فى أيديهم ، واعدين القوم بغفران الذنوب ومحو جميع آثام الخطاة إن هم استبسلوا فى القتال فى المعركة كحماة للعقيدة المسيحية ، كما قام الأساقفة بإزجاء النصح لأمراء الجيش وقواده أفراداً وجماعات وحثوهم على النضال ، وكان فى مقدمة هؤلاء الأساقفة خادم المسيح الطوباني أسقف بوى الذى دأب على إسداء النصح والمداومة على الصوم وملازمة الصلاة ، وكان مستعداً على الدوام للتضحية بنفسه من أجل خاطر السيد [٢] ، ووقف الكهنة فوق الأسوار يبتهلون إلى الرب أن يحمي شعبه وينصر الفرنجة [٣] ، ففي ظل افتقار الجيش الصليبي إلى المؤن وإلى حسن القيادة ، كان رجال الدين يعزون الانتصارات التى كان يحققها ذلك الجيش إلى عون الله لهم . [٤]

هذا ولعله من الأهمية بمكان أن نذكر بأن أدهيمار دى مونتيل كان له دوراً اجتماعياً فى الحملة الصليبية الأولى ، وكان هذا الدور منبثقاً أيضاً من دوره الديني .

يقول المؤرخ المجهول عن دوره الاجتماعي فى صفوف الصليبيين [٥] :

---

[١] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٥٤ .

[٢] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٤٠٢ ـ ٤٠٤ .

[٣] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص١٤٥ .

[٤] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٦٩ .

[٥] الجستا : الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية. جـ٦ ص١٥٥ .

" كان أسقف بوى عضداً للفقراء ، ومشيراً للأغنياء ، فكان يأمر الكهنة بذلك ، وغالباً ما قال للفرسان فى عظاته : لن يتمكن واحد منكم من إنقاذ نفسه إن لم يكرم الفقراء ، وإن لم يواسهم ، وهيهات أن تتهيأ النجاة لكم عن طريق سواهم ، مثلما أنهم لا يستطيعون العيش بدونكم ، وإنني أناشدكم أن تحبوهم حبكم للرب ، وأن تساعدوهم قدر المستطاع " ، فكان أدهيمار يعطي القوت للفقراء ، وكان محامياً لهم عند الأغنياء [١] ، فقد عانت أنطاكية نقصاً حاداً فى النقد ، حيث إن الفقراء بثيابهم الرثة وأسلحتهم التى يعلوها الصدأ هم الذين عانوا وكابدوا ، وكانوا مصدر قلق للقادة الصليبيين ، وشجع أدهيمار اللوبوى ميسوري الحال على مساعدة أولئك الفقراء . [٢]

---

(2) James . A. Brundage : Adhemar of Puy . Speculum . Vol. 34 . No, 2 . (Apr, 1959) . P. 201 .

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٢٧ .

موقف أدهيمار من مسيحي الشرق

كان الانشقاق الذى حدث بين كنيستي روما وبيزنطة هو النتيجة الطبيعية لصراع طويل ـ ديني وسياسي ـ بين هاتين الكنيستين ، وهو ما يجسد فى حقيقته صراع عالمين أعطي كل منهما ظهره للآخر منذ القرن الرابع الميلادي ، وراح كلاهما يبني لنفسه عالماً مغايراً ، وعمقت الظروف والأحوال الخاصة لكل منهما من هذا التباعد بينهما ، وكلما مرت القرون ازداد هذا التباعد والنفور ، مما أدى فى النهاية إلى الانفصال النهائي بينهما . [١]

مع ظهور الحركة الصليبية وتبنيها لقضية الدفاع عن مسيحي الشرق ضد الاضطهاد المزعوم لهم من جانب المسلمين ، ومع خروج الصليبيين فى الحملة الأولى ، عقدوا مجمعاً عاهدوا الله فيه بأنه إن أتاح لهم الاستيلاء على بيت المقدس ، فإنهم سيعاملون بالحسنى جميع المسيحيين من أى مذهب كان ، وأنهم سوف يهبون لكل طائفة تؤمن بالمسيح كنائس وأديرة [٢] ، وبما أن الأسقف أدهيمار دى مونتيل كان مندوباً عن البابا فى هذه الحملة وقائداً روحياً لها ، فقد اهتم بتحقيق التفاهم السليم مع المسيحيين فى الشرق ، سواء مع بيزنطة ، أو مع الكنائس الأرثوذكسية [*] فى الشام ، وكان موضع ثقة البابا أوربان الثاني ، ووقف

---

[١] اثناسيوس : الكنائس الشرقية وأوطانها . ط . دار نوبار . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م . جـ١ ص٢٧ .

[٢] ميخائيل السوري : روايات المؤرخ ميخائيل السوري الكبير . ترجمة . د/ سهيل زكار ، نشر ضمن الموسوعة الشاملة فى تاريخ الحروب الصليبية . ط . دار الفكر . دمشق . سوريا . سنة ١٩٩٥م . جـ٥ ص٨٩ .

[*] أرثوذكسي Orthodox : كلمة يونانية معناها " مستقيم الرأي " ، جرت العادة على إطلاق عبارة (كنائس أرثوذكسية) على جميع الكنائس الشرقية والتى ليست متحدة بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية . صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص٢٨ .

على كل آرائه وأفكاره ، وفى أثناء حياته كبح جماح ما كان بين الفرنج من تعصب عنصري وديني . [١] لاشك أن أدهيمار بناء على تعليمات من البابا أوربان قد سارع إلى الدخول فى علاقات مع البطريرك [*] سمعان [**] ، ومعاملته باحترام ، وهو ما يكذب نظرية أن أوربان كان يهدف إلى جعل الكنيسة الشرقية تحت سيطرته المباشرة [٢] على حد رأي الباحث سيتون .

كان سمعان بطريرك بيت المقدس قد لجأ إلى جزيرة قبرص بعد أن سادت الفوضى المدينة ، ولم تكد المواصلات تعود سيرتها الأولى ، حتى اتصل به أدهيمار ، فاجتمع فعلاً فى أكتوبر ١٠٩٧م /٤٩١ هـ ، بأدهيمار واشتركا سوياً فى إرسال تقرير عن الحملة الصليبية إلى المسيحيين فى الغرب ، فقد حرص أدهيمار على أن يجعل للنداء أكبر نفوذ وسلطان ، فصاغه باسم بطريرك بيت المقدس ، بعد أن حصل على إذن منه ، ولغة هذا النداء لها أهمية ودلالة خاصة ، لما تلقيه من ضوء على سياسة أدهيمار الكنسية ، إذ أن البطريرك خاطب كل المؤمنين فى الغرب على أنه وقتذاك زعيم الأساقفة فى الشرق ، سواء كانوا من اللاتين أو اليونانيين ، فاتخذ لنفسه لقب (الرسولي) ووطّن نفسه على أن يحرم من الكنسية كل مسيحي لا يوفي بالعهد الذى بذله للاشتراك فى الحملة الصليبية ، وكيفما كانت

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٧ .

[*] بطريرك Patriarch : لقب أطلق منذ القرن الخامس الميلادي على أساقفة كراسي المسيحية الأربعة الكبرى ، وهي رومة والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية وأورشليم . صبحي السيوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص١١١ .

[**] كان سمعان فى وقت حصار مدينة القدس فى جزيرة قبرص ، وتوفى هناك ، وكان بطريرك القدس . آلبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة . جـ٥١ ص١٥١ .

[2] Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 313 .

خطط أوربان النهائية لإدارة الكنائس الشرقية ، فإن مندوبه أدهيمار لم يبشر بالسيادة البابوية . [١] فإذا كان هذا هو موقف أدهيمار دى مونتيل من كبار رجال الدين المسيحي فى الشرق ، فإن سياسته الدينية تجاه الكنائس والمنشآت المسيحية الشرقية لم تختلف كثيراً عن ذلك ، وخاصة موقفه من كنائس مدينة أنطاكية ذات الأهمية الدينية الخاصة لدى مسيحي الشرق والغرب على حد سواء .

كانت أنطاكية تحوى كنائس كثيرة ، قد يصل عددها إلى ثلاثمائة كنيسة ، كما يوجد فيها ستون ديراً ، ويرأس بطريركها مائة وخمسون أسقفاً [٢] ، ففيها من الكنائس مالا تحد كثرة ، كلها معمولة بالفص المذهب ، والزجاج الملون ، والبلاط المُجَّزع . [٣] وعندما عاد الأسقف ـ أدهيمار ـ والأمراء الآخرين من ملاحقة جيش كربوغا ، بدأ العمل فى تنظيف كنيسة القديس بطرس [٤] ، فانصرفت همة الجميع للعناية بالكنائس، وكان أشد القوم إحساساً بالمسئولية تجاه هذا الاهتمام ، أديمار دى مونتيل أسقف لى بوي المعظم ، باعتباره راعي الجيش ، وعاونه بقية من فى الجيش من القسس معاونة صادقة مخلصة ، كما اقبل الناس يمدون يد المساعدة عن طيب خاطر ، وبهذا عادت الكنيسة الرئيسية وبقية كنائس أنطاكية إلى مكانتها التى كانت عليها فى الأصل . [٥]

أما المدن المجاورة التى كانت تتمتع بوجود كنائس كاتدرائية بها ، فقد نصَّبوا أساقفة يرعونها ، كما وجدوا من ناحية أخرى أنه ليس من اللائق اختيار أو

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٣٤ ـ ٣٣٥ . بتصرف بسيط .

[٢] مجهول : الجستا . الموسوعة الشاملة . جـ٦ ص١٥٧ .

[٣] ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب . جـ١ ص٨٦ .

[٤] ألبرت فون آخن : تاريخ الحملة الصليبية الأولى . الموسوعة الشاملة . جـ٥١ ص١٠٥ .

[٥] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٤١٩ .

تعيين بطريرك لاتيني فى الوقت الذى كان فيه شاغل هذا المكان لا يزال على قيد الحياة ، وذلك تحاشياً من وجود اثنين يشغلان نفس الكرسي فى وقت واحد ، مما يعتبر مخالفة صريحة لقوانين الآباء وقراراتهم التنظيمية . (١)

فقد قصد ياغي سيان تحصين أنطاكية وإخراج النصارى منها (٢) ، حيث اتخذ قرارات تعسفية ضد المسيحيين فى أنطاكية ، عندما علم باقتراب الصليبيين ، فزج بالبطريرك فى السجن ، وطرد كثيراً من أعيان المسيحيين ، واستولى رجاله على كاتدرائية القديس بطرس (٣) ، وبعد أن فك الصليبيون الحصار عن أنطاكية ، أطلق أدهيمار أسقف لى بوي سراح البطريرك يوحنا من السجن الذى وضعه فيه ياغي سيان ، واستعاد كرسيه وكاتدرائية القديس بطرس (٤) ، وعلى الرغم من أن يوحنا كان من اليونانيين ، ويكره الشعائر اللاتينية ، غير أنه يعتبر البطريرك الشرعي لكرسي لازال يسير وفقاً لشعائر بيزنطة ، ومن المحقق أن أدهيمار لم يشأ أن يسئ إلى ما كان له من صفة شرعية ، وإلى العاطفة المحلية بالالتجاء إلى تجاهل حقوقه . (٥)

لم يتعرض الصليبيون كذلك لأتباع المذهب الأرثوذكسي فى البلاد التى استولوا عليها ، وإنما تركوا حرية العقيدة لجميع المسيحيين ، بما فى ذلك السريان والأرمن ، وسمحوا لهم بإصلاح كنائسهم وزخرفتها بالفسيفساء والأيقونات (*)

---

(١) وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ١ ص٤٢٠ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق . ص١٣٤ .

(٣) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص١٩٢ .

(4) Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 319 .

(٥) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٥٤ . ٣٥٥ .

(*) أيقونة Icon : كلمة يونانية الأصل تعني الصورة وهي لفظ اصطلاحي استعمله التقليد

والصور وغيرها ، أما رجال الدين الأرثوذكس أنفسهم ، فقد تركهم الصليبيون فى مناصبهم ولم يتعرضوا لهم ، وكل ما هنالك هو أنهم عينوا بعض رجال الدين من الكاثوليك فى الأسقفيات الشاغرة [١] ، فقد تم التأكيد على قرار مجمع كليرمونت فى المجمع المحلي الذى عقده أدهيمار لى بوي فى أنطاكية بمجرة الاستيلاء عليها ، إذ كان البابا قد أكد على ضرورة أن تكون الكنائس التى يتم تحريرها خاضعة للإمارات الصليبية التى يقيمها الصليبيون . [٢]

على أن هذه السياسة الوديعة تجاه الإمبراطورية البيزنطية وكنيستها لم تلبث أن تبدلت عندما تكاسل الإمبراطور ألكسيوس كومنين فى الحضور إلى الشام لمساندة الصليبيين [٣] ، فبرغم ما أظهره الصليبيون من الاحترام الصادق لرجال الكنسية الأرثوذكسية فى الشرق ، فإن علاقاتهم بسادتها العلمانيين ، أصابها التدهور والانحطاط . [٤]

فى خطاب الأمراء الصليبيين إلى البابا أوربان الثاني فى ١١ سبتمبر ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، وهي الرسالة التى تتضمن تفاصيل الاستيلاء على أنطاكية وإخطاره بوفاة أدهيمار دى مونتيل ، تبين أثر غياب أدهيمار فى الإصرار على إنكار حقوق البطريرك يوحنا ، وما ظهر من العداوة والكراهية للمذاهب المسيحية الوطنية

المسيحي الشرقي للدلالة على صور المسيح والعذراء والقديسين ، وهو فن يعود إلى رسوم مصر الهيلينية . صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص٨٦ .

[١] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص٢١٨ .

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص٧٧ ـ ٧٨ .

[٣] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص٢١٨ .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٣٥ .

. [١] فبعد أن ثبت بوهيموند قدمه نهائياً فى أنطاكية وتخلص من منافسة سان جيل له ، عزل البطريرك البيزنطي ، وعين محله بطريركاً لاتينياً هو برنولد دى فالانس Bernold de Valance [٢] ، الذى كان قسيساً لدى أدهيمار ، ثم جعله بوهيموند أسقفاً على أرتاح ، واصطحبه معه إلى بيت المقدس لرسامته . تعيينه . وبذا قامت فى أنطاكية فئتان من الأساقفة اليونانيين واللاتينيين ، ولم ترض إحداهما أن تذعن للأخرى ، على أن بوهميوند هو الذى أحدث الانشقاق النهائي بين الكنيستين (اليونانية واللاتينية) فى أنطاكية [٣] ، ولم يلبث المسيحيون الوطنيون أن أدركوا أن الفرنج القادمين لتخليصهم إنما تحركهم أغراض أخرى ، وإن كانوا فى الظاهر يزعمون أنهم يعطفون عليهم . [٤]

لقد وضح من خلال ما سبق أن اضطهاد المسيحيين فى الشرق لم يكن يهم البابا كثيراً ، وأن دعواه ما هي إلا ورقة عرف أنها رابحة فى لعبته الذكية مع دهماء أوروبا ، ليحقق من ورائهم العديد من المكاسب والأهداف [٥] ، وإذا كان أدهيمار دى مونتيل قد أبدى نوايا حسنة فى التوفيق بين الكنيستين ، إلا أن هذا كان دهاء ومكراً منه ، كان يقصد به تمكين الصليبيين من تثبيت أقدامهم على الشرق بتعاون مسيحي الشرق معهم ، ثم تظهر أوروبا والبابوية نيتها الحقيقية من هذه الحرب المقدسة ، وهي كثلكة كل ما هو شرقي .

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٨٢ .

[٢] جوزيف يوسف : العرب والروم واللاتين . ص٢٤٨ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٤٧٤ . ٤٧٥ .

[٤] المرجع السابق : جـ١ ص٣٠٠ .

[٥] د. تيسير بن موسى : نظرة عربية على غزوات الإفرنج . ص٥١ .

موقف أدهيمار من الأحلام المقدسة

تعني الأحلام فى الفكر المسيحي أن الله يُظهر إرادته أو يكشف المستقبل عن طريق الأحلام ، وفى الواقع قد يدل غالباً تحليل روايات الرؤى فى الحلم على أنها توافق توجيهاً جديداً للشخصية [١] ، وكانت هذه الأحلام فى العصور المختلفة يضاف إليها لفظ القداسة ، على أساس أن الرائي لها يشاهد فيها شخصية مسيحية دينية كبيرة ذات قداسة ، فكان عصر الحروب الصليبية من عصور الرؤى والأحلام المقدسة فى الغرب الأوروبي ، حيث كان الجهل يسيطر على عقول أغلب فئات المجتمع الأوربي وقتذاك ، وكان الناس يميلون إلى تصديق كل ما يقال .

إن عدد الرؤى التى شاهدها الصليبيون ـ فى الحملة الأولى ـ من جنوب فرنسا ، وإقليم بروفنس Provence لا يقل عن ست رؤى وكلها لأتباع ريموند السانجيلي ، وأدهيمار اللوبوي [٢] ، كان الكونت ريموند السانجيلي متديناً بعمق ، ويؤمن بالرؤى والمعجزات والآثار المقدسة ، وهذه كانت فى حساباته فى تعليماته العميقة لأتباعه من الصليبيين ، وعلى الجانب الآخر كان الأسقف أدهيمار أكثر فاعلية فى وجهة نظرة فى الحياة ، فكان لا يؤمن بالرؤى والمعجزات . [٣]

كان الصليبيون يلجأون إلى الرؤى والأحلام عندما يكونون فى موقف لا يحسدون عليه ، فتأتي هذه الأحلام للمحاولة للخروج من هذا المأزق خاصة إذا كان الحلم ذو صفة دينية ، وتأتي فى مقدمة هذه الأحلام الحلم المتعلق بالحربة المقدسة المذكورة آنفاً ، ففي صباح يوم ١٠ يونيو سنة ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، أثناء

---

[١] صبحي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي . ص١٩٤ .

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٨٤ .

[3] History of the knights tampler , the privy journaly , 1 St . 2001, P. 10

حصار المسلمين للصليبين داخل أسوار أنطاكية ، جاء فلاح فقير فى جيش الكونت ريموند ، وطلب مقابلة الكونت وأسقف لى بوي ، وكان يدعى بطرس بارثليميو [١] ، وبعد أن قصّ بطرس بارثليميو حلمه المتعلق بالحربة المقدسة ، طلب الكونت والأسقف تفاصيل عن طبيعة المكتشفات وتعليمات القديس أندرو [٢] الواردة فى ثنايا حلم بطرس هذه .

وقد ذكر آنفاً بأن أدهيمار دى مونتيل قد أنكر هذا الحلم وفكرة الحربة المقدسة من البداية ، وعليه فإن شخصاً واحداً لم يشعر بالأسى والحزن لوفاة أدهيمار ، ولم يكن هذا الشخص سوى بطرس بارثليميو إذ لم يغفر مطلقاً لمندوب البابا أدهيمار ما أظهره من عدم الاعتقاد فى رؤياه . [٣]

ولم يكن أدهيمار دى مونتيل ينكر الرؤى والأحلام المقدسة على طول الخط ، بل كان يصدق ويتفاعل مع بعضها إذا كان أصحابها من أتباعه ، ففي ليلة العاشر من يونيو ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، شاهد ستيفن الفالنسي Stephen of Valence المسيح فى المنام ، وأبلغه بأن : " لا يوجد سيد أعلى بينكم ، وإنما على الشعب الثقة فى الأسقف أدهيمار ، أكثر من أي شخص آخر " [٤] ، من الملاحظ أن هذا الحلم جاء فى عشية حلم بطرس بارثليميو الذى كان فى الصباح من ذات اليوم ، وأنه جاء من أحد أتباع أدهيمار ، بينما حلم الصباح كان من أحد أتباع ريموند السانجيلي ، وهو يؤكد على أن هذه الأحلام كانت مجرد لعبة يحاول بها القادة الصليبيون تدعيم موقفهم أمام جمهور الصليبيين ، والدليل على ذلك أن

---

(1) Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 320 .

[٢] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص١٢٧ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٨ .

[٤] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٦٣ .

صاحب الحلم الثاني طلب من الصليبيين الثقة فى أدهيمار أكثر من أي شخص آخر لأنه كان له رأي مخالف لريموند السانجيلي فى مسألة حلم الحرية المقدسة .

يقول المؤرخ المجهول عن تفاصيل حلم بطرس الفالنسي [١] : " بينما كان مقدمونا مجتمعين فى أعلى المدينة . أنطاكية . مقابل القلعة يتشاورون والحزن ظاهر عليهم واليأس قد استبد بهم . بسبب حصار المسلمين لهم فى أنطاكية . إذ بواحد من الرهبان اسمه بطرس فالنتان يمثل أمامهم ويخاطبهم بقوله : أيها السادة هل لكم أن تصغوا إلى ما سأقصه عليكم ، لقد رأيت البارحة حينما كنت نائماً فى كنيسة القديسة مريم رؤيا هالكم وضعها : لقد ظهر لي مخلص العالم . السيد المسيح حسب الاعتقاد المسيحي . وبرفقته أمه وبطرس الطوباوي سيد الحواريين ، وناداني قائلاً : لقد أحزنني ما كابدتموه مشقة أثناء حصار أنطاكية ، ولكنكم استطعتم بفضل مساعدتي لكم أن تدخلوا المدينة سالمين غانمين ، بيد أنكم فسقتم مع نساء فاسدات من المسيحيات والكفار ، فتصاعد النتن حتى بلغ السماء وقال لي الرب : امضي إلى شعبي وأخبره وليعد إليّ ، فسأعود أنا إليه ، وأمامه أيام خمسة سأبعث بعدها بعون عظيم " ، وأبلغهم ستيفن فى اجتماع عقدوه برؤياه المذكورة . [٢]

قال ستيفن . بعد أن قصّ حلمه . إن كنتم فى شك من حقيقة رؤياي ، فسوف أعتلي برجاً عالياً وألقي بنفسي ، أو ألقوا بي فى نار مشتعلة ، فمنع أدهيمار القيام بهذا التحكيم . للتأكد من صحتها . وأمر بإحضار الكتاب المقدس والصليب وجعل ستيفن يقسم على صدق ما قال [٣] ، فقد أبدى أدهيمار استعداده

---

[١] الجستا : الموسوعة الشاملة . جـ٦ ص١٣٩ . ١٤٠ .

[٢] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص١٣٢ .

[٣] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ص٢٠٧ .

لأن يصدق هذه الرؤية ويعتبرها صحيحة ، فالمعروف أن ستيفن كان من رجال الدين المشهورين بالسمعة الطيبة ، يضاف إلى ذلك أنه أقسم على الإنجيل أنه يقول الصدق ، ولما رأى أدهيمار أن الأمراء اشتد تأثرهم بالقصة ، بادر يحثهم على أن يحلفوا ألا يغادر أحد منهم أنطاكية منذ الآن إلا بموافقة الآخرين ، وارتفعت الروح المعنوية فى الجيش ، حينما ذاعت أنباء اليمين [١] ، والذى لم يكن إلا نتيجة من نتائج لعبة الأحلام المقدسة .

وبما أن أدهيمار كان من الشخصيات الكبيرة والمؤثرة فى الحملة الصليبية الأولى ، بما له من مكانة دينية وروحية عالية ، وبما كان له من صفات حميدة فى صفوف الصليبيين من عامة وخاصة ، فقد تم استغلال شخصيته حتى بعد وفاته ، فى خلق بعض الرؤى والأحلام المقدسة التى تعمل على رفع الروح المعنوية فى الجيش الصليبي ، وتُثَّمِنْ ما يقوم به الصليبيون من أعمال .

عندما حاصر الصليبيون بيت المقدس وطالت مدة الحصار نحواً ما ، وكان أدهيمار دى مونتيل قد توفى من العام الماضي ، أعلن بطرس الفالنسي أنه رأى الأسقف أدهيمار أثناء الليل وأمره أن يبلغ الأمراء بأن الجيش كله إذا سار حول أسوار المدينة حافياً ، وأنهم إذا أعلنوا التوبة الحقيقية فى قلوبهم ، ففي غضون تسعة أيام ستقع المدينة فى أيديهم [٢] ، وقد استجاب الصليبيون لدعوة بطرس ، فانتظموا جميعاً ضمن صفوف طويلة وساروا حفاة ، وبأيديهم الصلبان والذخائر المقدسة ، وهم يطوفون حول أسوار القدس [٣] ، وقد احتشد المسلمون على الأسوار ، وأخذوا يهزأون بهم ، غير أن الصليبيين وجدوا فى هذه السخرية المجد

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٦٥ . ٣٦٦ .

[2] Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 335 .

[٣] سعيد برجاوي : الحروب الصليبية فى المشرق . ص١٦٦ .

والرفعة . [١]

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل حاول الصليبيون أن يجدوا لأنفسهم مبرراً دينياً وأخلاقياً للمذابح التى ارتكبوها ضد سكان القدس الشريف عندما دخلوا المدينة ، فراحوا ينسجون الأحلام والرؤى كي يباركوا وحشيتهم هذه ، فكان أدهيمار دى مونتيل وروحه من المشاركين لهم فى ذلك عبر ما أدعوه من رؤى وتجليات .

يقول وليم الصوري عن ذلك [٢] : " فى هذا اليوم ذاته . يوم سقوط القدس فى قبضة الصليبيين . تجلى فى المدينة المقدسة بشهادة الكثيرين ، أديمار أسقف بوي ، تلك الشخصية الفاضلة الخالدة الذكر التى ودعت الحياة فى أنطاكية وقد شهد الكثيرون على حقيقة تجليه ، كما أن هناك فى الواقع نفراً غير قليل من الموقرين الثقات أكدوا تأكيداً جازماً أنهم رأوه بأعينهم حيث كان هو أول من اعتلى الأسوار ، وأخذ يحث الآخرين ويشد عزائمهم ليتبعوه ، وتعددت مرات تجليه فى هذا اليوم ذاته لكثير من الناس وهم فى طريقهم إلى الأماكن الطاهرة " ، لكن العجيب فى هذه الرواية السابقة ليس ما ورد فيها من أساطير وأحلام تعدت مرحلة التأويل إلى مرحلة الحقيقة الواقعة بالتجلي الفعلي ، بل العجيب أن يذكرها ويؤكد على صدقها مؤرخ فى مكانة وليم الصوري ، لكن يبدو أن مسألة الهوس الديني فى ذلك العصر قد أصابت كل سكان أوروبا بما فيهم مؤرخيها .

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٤٠١ .

[٢] الحروب الصليبية : جـ٢ ص١٣٢ .

وفاة أدهيمار والآثار التي ترتبت عليها

ما كاد حصار أنطاكية ينتهي هذه النهاية بالاستيلاء عليها . بفك الحصار الإسلامي عنها . وما كادت أمورها تستقر ويسودها الهدوء ، حتى ضرب الناس بطاعون لا يعلم أحد أسبابه ، وتزايد عدد ضحاياه زيادة مفزعة [١] ، ففي أثناء شهر يوليو ، تفشى فى أنطاكية وباء خطير ، الراجح أنه كان مرض التفوئيد ، وظهر نتيجة لما حدث فى الشهر الماضي من توالي الحصارات والمعارك ، ولجهل الصليبيين بالتدابير الصحية الضرورية فى الشرق [٢] ، حيث اكتظت شوارع أنطاكية بجثث القتلى المتعفنة التى لم يتحمل أحد رائحتها ، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يرتاد الشوارع دون أن يتعثر فى الجثث . [٣]

كان من بين الذين ساروا إلى ذاك فى الطريق الذى لابد لكل مخلوق أن يسير فيه (أدهيمار لى بوى Adhemar of Puy [٤]) ، حيث وقع فريسة لمرض عضال وفاضت روحه [٥] ، ودفن الأسقف أدهيمار فى كنيسة القديس بطرس فى أنطاكية [٦] فى الحفرة التى وجدوا فيها الحربة المقدسة [٧] ، وذلك فى أول أغسطس سنة ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، وقد دفع ذلك الوضع الصليبيين إلى القيام

---

[١] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ٢ ص١٨ .

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

[٣] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى القدس . ص١٨٤ .

[٤] وليم الصوري : الحروب الصليبية . جـ٢ ص١٩ .

[٥] بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى القدس . ص٢٥٧ .

[٦] ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص١٥٢ .

[٧] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٧٨ .

بغزوات وجولات قريبة خارج أنطاكية ، ليتعدوا عن منطقة الوباء . [١] بناء على ضوء الفهم الواضح بأن الله كان مع الصليبيين فى حربهم ، تولد اعتقاد راسخ لدى الصليبيين بأن قتلاهم شهداء ، ومن الممكن تقسيم هؤلاء الشهداء إلى ثلاث درجات أو طبقات ، وتتكون الطبقة الأولى من أولئك الذين ماتوا من المرض فكل من كتبوا عن الحرب الصليبية سواء أكانوا من شهود العيان أم غير ذلك ، اعتقدوا أن أدهيمار قد ذهب إلى الفردوس ، باستثناء ريموند الأجوليري Raymond of Aguilers الذى اعتبره يتعذب بعض الوقت فى الآخرة بسبب شكوكه فى الحربة المقدسة . [٢]

وقد أسهب المؤرخون الأوروبيون فى نعي المندوب البابوي أدهيمار دى مونتيل ، من ذلك قول فوشيه الشارتري [٣] : " رحم الله روح أديمار أسقف لى بوي الذى كان هو نفسه حوارياً دائم العطف على الناس يخفف عنهم ويزيد قوة إيمانهم بالرب " . ويقول بطرس توديبود فى نعيه أيضاً [٤] : " عمّ الكرب واليأس والألم الذى لا يوصف كل الجيش الصليبي لأنه كان سند الفقير وناصح الغني " . ونعاه أيضاً المؤرخون الأوروبيون الحداثة فذكر بعضهم بأن وفاته كانت واحدة من أعظم المآسي للحملة الصليبية [٥] ، وقال آخر بأن وفاته كانت كارثة[٦] فإن اكتمال شخصيته لم تكن موضع خلاف عند رفاقه ، بل أيضاً عند الذين قاوم أطماعهم ،

---

[١] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص٢٢٠ .

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص٢٠٦ . ٢٠٧ . بتصرف بسيط .

[٣] تاريخ الحملة إلى القدس : ص٦١ .

[٤] تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس : ص٢٥٧ .

[5] James . A. Brundage : Adhemar of Puy . Speculum . Vol. 34 . No, 2 . (Apr, 1959) . P. 201 .

[6] Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 324 .

فحزن عليه أتباع بوهيموند مثلما حزن عليه رجاله من فرنسا ، واقسم بوهيموند على أن يحمل جثمانه إلى بيت المقدس . [١]

هذا وقد ترتب على وفاة أدهيمار دى مونتيل آثار كثيرة ، لم تكن فى صالح الحملة الصليبية الأولى وصالح الصليبيين على وجه العموم ، يقول ريموندأجيل عن هذه الآثار بوجه عام [٢] : " لقد أثبت تشتت القادة فى أعقاب موت أدهيمار ، كم كان أدهيمار نافعاً لجيش المسيح Militia Christi ولقادته " فبعد موت أدهيمار ، تنازع الأمراء حول امتلاك أنطاكية ، وانهار النظام كله ، ولجأ القادة ومعهم أتباعهم إلى عمليات السلب والنهب ، وتبعهم عامة الصليبيين ويقال إن كل فرد أخذ ما أراد ؛ لأنه لم يكن هناك قضاة لمحاكمة المجرمين . [٣]

بعد وفاة أدهيمار أصيب القادة بنوع من التخبط ولم يدروا ما يفعلون ، فقد كان ينظر لأسقف لى بوي على أنه رئيس القادة ، وعندما توفى أدهيمار أرسلوا من أنطاكية يطلبون من البابا أن يأتي لينهي حربه ، فليس هناك من شك فى أنها كانت حرب أوربان [٤] ، وكان يديرها عنه بالوكالة أدهيمار دى مونتيل ، وهاهو قد مات ، فعلى البابا أن يرسم لهم طريق المسير أو الرجوع .

وقد احتفظ فوشيه الشارتري بنص الخطاب الهام الذى أرسله قادة الفرنجة إلى البابا أوربان الثاني فى ١١ سبتمبر ١٠٩٨م /٤٩٢ هـ ، وجاء فيه على لسانهم : " فإننا نسألك الآن ونحن أبناؤك الذين فجعوا بفقد والدهم الذى أوكلت علينا . يقصدون نائبه أدهيمار . فإننا نتوسل إليك أن تحضر إلينا ، وأن تحث كل

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية . جـ١ ص٣٧٨ .

[٢] تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس : ص١٥٢ .

[٣] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٦٥ .

[4] Setton : A history of the crusades . Vol, 1 . P. 250 .

من يستطيع أن يحضر معك ، فهل فى هذه الدنيا ما هو أنسب من أن تحضر أنت ، وأنت والد الكنيسة المسيحية ورأسها ، إلى هذه المدينة الرئيسية . أنطاكية . عاصمة الاسم المسيحي ، وتنهي الحرب التى هي مشروعك بنفسك " . [١] فهناك ملاحظات هامة يمكن أن نستخلصها من هذه الرسالة ، يمكن حصرها فى الآتي :

١. أن هذا الخطاب يثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الحركة الصليبية كانت فى المقام الأول صنيعة من صنائع البابوية ، بدليل قولهم للبابا : وتنهي الحرب التى هي مشروعك بنفسك .

٢. أنهم طلبوا من البابا أوربان الثاني أن يحضر بنفسه إلى أنطاكية ليتولى قيادة الحملة الصليبية الأولى بدلاً من نائبه الذى توفى أدهيمار دى مونتيل وهذا يفيد ضمنياً بالأثر الكبير والفراغ الديني والسياسي والعسكري الذى ترتب على وفاة أدهيمار دى مونتيل ، والذى لم يستطع أحد آخر من رجال دين الحملة أو قادتها أن يسده ، أى ما كان لأحد أن يسد هذا الفراغ إلا البابا نفسه .

على أية حال كان الصليبيون أنفسهم واثقون من أن البابا لن يستطع تلبية دعوتهم [٢] وعند وفاة أدهيمار اللوبوي نقل فرسانه ولاءهم إلى ريموند السانجيلي الذى كان تربطهم به علاقة وثيقة وأصبح وليم هيو William Hugh شقيق أدهيمار من أخلص أتباع ريموند [٣] ، غير أن أهم نتيجة سلبية انعكست على الحملة الصليبية الأولى بوفاة أدهيمار دى مونتيل هي تأخر الفرنجة عن مقصدهم

---

[١] تاريخ الحملة إلى القدس : ص٦٦ . ٦٧ .

[٢] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص٢٢٣ .

[٣] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٤٥ .

الأساسي أورشليم القدس .

بعد وفاة المندوب البابوي أدهيمار أسقف لى بوي فى أغسطس ١٠٩٨م/٤٩٢ هـ ، تشاجر الصليبيون حول امتلاء أنطاكية ، وحول تاريخ استئناف المسير إلى القدس [١] ، فقد تشتت شمل الشخصيات القيادية للصليبين ، وأصيبت الحملة بالشلل [٢] ، فقد أضعف موت أدهيمار عزيمة الجند ، وظلوا منقسمين على أنفسهم لمدة ستة أشهر ، قبل أن يسيروا متثاقلين خلف ريموند السانجيلي الذى أجبره أتباعه على الزحف إلى بيت المقدس [٣] ، وقد حال موت أدهيمار فى أنطاكية دون اشتراكه فى استرداد أورشليم القدس ، وجعله غير مسئول عن كل ما حدث فيها من سلب ونهب مرعبين . [٤]

كان من المتوقع عقب استيلاء الصليبيين على بيت المقدس أن تقوم بها حكومة دينية يرأسها أحد رجال الدين ، حيث إن البابوية هي التى دعت للحروب الصليبية ، وحددت للصليبين الهدف الذى وصلوا إليه بالفعل ، لكن ظهر أنه من الصعب تحقيق هذه الفكرة بعد وفاة المندوب البابوي أدهيمار ، إذ لم توجد بين صفوف الصليبيين بالشام شخصية كنسية لها من المكانة والنفوذ ما يساعد على تحقيق ذلك الحلم [٥] ، وهذا فى حد ذاته يعكس لنا الآثار الدينية السيئة التى ألقت بظلالها على رجال الدين خاصة وعلى جمهور الصليبيين عامة نتيجة لوفاة

---

(1) Jonathan Rily Smith : The Crusades , 1095-1198 . The new Cambridge medieval history . Vol, IV . Part. 1, p. 542 .

[٢] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١١٢ .

[٣] المرجع السابق : ص١٦٣ .

(4) D. S. Chambers : Popes , Cardinals and War , P. 13 .

[٥] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص٢٧٣ .

أدهيمار دى مونتيل .

كان أدهيمار قد سلّم مهمة التعليم الكهنوتي . الديني . وهو على فراش الموت إلى أرنولف الشوكوي Arnulf of Chocques الذى كان قسيساً لدى روبرت النورماندي ، وكان لديه أيضاً اثنان من القساوسة على الأقل فى صحبته وكان مشهوراً بالتفوه بالألفاظ المنحطة ، فضلاً عن ولعه بمغازلة النساء ، ويقال إنه تم تأليف الأغاني المبتذلة أثناء الحروب الصليبية للتشهير به [١] ، وقد صور وليم الصوري الفساد الأخلاقي الذى دّب فى صفوف رجال الدين عقب وفاة أدهيمار دى مونتيل فقال عن ذلك [٢] : " لقد هوى الدين القيم وكل معاني الشرف إلى الحضيض عند رجال الدين ، فاستشرى الفساد فى كل ناحية ، وسار فى مسيرات محرمة ، منذ أن غادر دنيانا النائب الرسولي الطاهر الذيل والسيرة (أديمار أسقف بوي) ثم قام مكانه فى حمل مسئولية هذه الملة وليم أسقف أورنج [*] ، الذى كان رجلاً ورعاً يخشى الله حق خشيته ، لكنه ما لبث أن مات هو الآخر بعد قليل " ، وهكذا فبموت هذين الرجلين ، لم يقف فى وجه الأمراء إلا أسقف البارة [**]، وعدد صغير معه . [٣]

---

[١] جوناثان سميث : الحملة الصليبية الأولى . ص١٤٨ . ١٥٣ . بتصرف بسيط .

[٢] الحروب الصليبية : جـ٢ ص١٤٥ .

[*] مات الأسقف أورانج Orange فى معرة النعمان حوالي ٢٠ سبتمبر سنة ١٠٩٩م . ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ص٢٦٥ . حاشية رقم (٢) .

[**] البارة : بليدة وكورة من نواحي حلب وبها حصن . الحموي : معجم البلدان . جـ ١ص ٣٢٠ .

[٣] المصدر السابق : ص٢٥٧ .

هذا وقد وقف دايمبرت رئيس أساقفة بيزا إلى جانب البابا أوربان الثاني فى مشروعه الصليبي الكبير لاسترداد الأراضي المقدس بالشرق ، الأمر الذى جعل البابا أوربان الثاني يعينه مندوباً بابوياً فى الأراضي المقدسة بدلاً من أدهيمار الذى توفى فى أنطاكية ، وذلك على الرغم مما أحاط بدايمبرت من شائعات عن عدم استقامته وانحراف مسلكه . [1]

وعلى هذا يكون أدهيمار دى مونتيل هو أول مندوب بابوي فى الحملات الصليبية البابوية ، وتوالى بعده مناديب البابويون فى الحملات الأخرى ، لكن ربما يكون أدهيمار دى مونتيل بناءً على ما سبق هو أكثرهم التزاماً واحتراماً .

[1] د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ١ ص٢٧٣ . ٢٧٤ .

الخاتمة

من خلال من سبق ذكره عن دور المندوب البابوي أدهيمار دى مونتيل فى الحملة الصليبية الأولى ، يمكن أن نخلص بالنتائج الهامة الآتية :

١ـ أظهر البحث بأن الحركة الصليبية فى مجملها صنيعة بابوية استعمارية قصد بها البابا أوربان الثاني التأكيد على نظرية السمو البابوي ، والدليل على ذلك قيامه بتعيين مندوباً عنه لقيادة الحملة الصليبية الأولى ثم صار ذلك الأمر سُنة متبعة فيما تلاها من حملات .

٢. تبين أن حياة أدهيمار دى مونتيل قبل إندلاع الحروب الصليبية ومؤهلاته الشخصية ، كانت من الدوافع الرئيسية التى دفعت البابا أوربان الثاني لتعيينه كأول مندوباً بابوي فى الحملة الأولى من حملات الحركة الصليبية .

٣ـ وضح من خلال الدراسة بأن المصادر العربية المعاصرة والغير معاصرة للحملة الصليبية الأولى لم تعرف مطلقاً شخصية أدهيمار دى مونتيل ، وبالتالي لم تكتب عنه شيئاً ، على الرغم من خطورة الدور الذى قام به فى هذه الحملة التى جرت أحداثها على أراض عربية إسلامية .

٤. كشفت الدراسة بأن أدهيمار دى مونتيل كان ضالعاً مع البابا أوربان الثاني فى الدعوة للحركة الصليبية ، وأنه كان من الشخصيات الدينية الرئيسية التى قامت بالإعداد لمؤتمر كليرمونت الذى انطلقت منه شرارة الحروب الصليبية .

٥. تبين أن أدهيمار دى مونتيل بعد تعيينه رسمياً مندوباً بابوياً للحملة الصليبية الأولى فى مؤتمر كليرمونت ، قد كرس كل امكانياته المادية والمعنوية استعداداً للإنطلاق نحو الشرق .

٦. أظهر البحث بأن أدهيمار دى مونتيل قد انطلق نحو الشرق برفقة ريموند كونت تولوز ، قائد أكبر الجيوش الصليبية المتجهة نحو الشرق ، وفى خلال طريقهما إلى القسطنطينية قد لاقيا الكثير من المتاعب والصعاب ، على الرغم من مرورهما فى أراض مسيحية ، وبالرغم من مكانة أدهيمار كنائب عن البابا ، وهذا يؤكد على أن الحركة الصليبية فى ذلك الوقت لم تكن تلقي القبول التام من كل سكان أوروبا .

٧ـ أن شخصية أدهيمار القيادية قد ظهرت منذ الوهلة الأولى فى مدينة القسطنطينية ، وذلك من خلال تسويته للخلافات بين الإمبراطور البيزنطي وقادة الفرنجة ، فيها يعرف بمسألة يمين الولاء للإمبراطور البيزنطي .

٨ . كشفت الدراسة بأن قيادة أدهيمار دي مونتيل للحملة الصليبية الأولى لم تكن قيادة روحية فقط على اعتبار أنه كان رجل دين ، بل كانت قيادة عسكرية من الدرجة الأولى ، وذلك من خلال اشتراكه فى حصار مدينة نيقية والعمل على إسقاطها ، واشتراكه فى القتال الفعلي فى معركة دوريليوم ، والتى يسند فضل الانتصار فيها لجهوده العسكرية ، وهذا فى حد ذاته يؤكد على أن البابوية ورجالها فى ذلك الوقت ، قد نجحوا إلى حد كبير فى عسكرة الدين .

٩. أظهر البحث بأن الدور العسكري الكبير لأدهيمار دي مونتيل قد تجلى فى اشتراكه فى حصار وسقوط مدينة أنطاكية ، ثم فى فك الحصار الإسلامي الذى ضرب عليها ، وأن أفكاره العسكرية والقتالية فى هذا الشأن ربما فاقت أفكار القادة الصليبيين العسكريين أنفسهم .

١٠ـ أبان البحث بأن أدهيمار دى مونتيل كان له دوراً كبيراً فى اجتماعيات الصليبيين طوال سير الحملة الأولى ، وذلك من خلال تدخله فى حل

مشكلة المجاعة الطاحنة التى تعرض لها الفرنجة خارج وداخل أنطاكية ومن خلال شن التشريعات وإصدار الأحكام للمحافظة على النظام الاجتماعي داخل المعسكر الصليبي ، كي لا تكون هناك أي معوقات عن هدفهم الأساسي وهو قتال المسلمين واحتلال بلادهم .

١١. وضح من خلال البحث أن أدهيمار دى مونتيل كان له دوراً دينياً كبيراً فى الحملة الصليبية الأولى ، وهذا أمر طبيعي ، فهو رجل دين فى المقام الأول ، وقد ظهر هذا الدور فى سيطرته المطلقة على الطقوس الدينية التى مارسها الصليبيون طوال خط سير الحملة .

١٢ـ كشفت الدراسة بأن سياسة أدهيمار الدينية نحو الطوائف المسيحية الشرقية كانت تتثم بالتسامح الديني وإظهار نوع من أنواع التفاهم السلمي مع الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية ، بناءً على توجيهات البابا أوربان الثاني ، لكن بعد وفاة أدهيمار كشفت البابوية وقادة الصليبيين عن نيتهم الحقيقية تجاه أبناء الشرق من المسيحين ، وهي العمل بكل قوة على كثلكة كل ما هو شرقي .

١٣. تبين أن قيادة أدهيمار للحملة الصليبية الأولى كانت من الأهمية بمكان حيث أدت وفاته فى أنطاكية إلى حدوث آثار سلبية انعكست على خط سير الحملة عموماً ، حيث دبّ الخلاف بين القادة الصليبين حول أحقية حكم أنطاكية ، ثم تأخر زحف الصليبيين نحو أورشليم القدس ، لكن الصليبيين أنفسهم برغم اختلافاتهم لم ينسوه حتى بعد أن سقطت القدس فى أيديهم ، فقد ادعى بعضم بأن روحه تجلت فى القدس ، وأنه كان أول من اعتلى الأسوار ليحث الصليبيين على قتال المسلمين .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية والمعربة

ابن الأثير : علي بن أبى الكرم محمد المعروف بابن الأثير . ت ٦٣٠هـ

١. الكامل فى التاريخ . ط . دار صادر . بيروت . لبنان . الطبعة السادسة سنة ١٩٩٥م .

آخن : ألبرت فون آخن .

٢ـ تاريخ الحملة الصليبية الأولى . ترجمة . د/ سهيل زكار . نشر ضمن الموسوعة الشاملة فى تاريخ الحروب الصليبية . ط . دار الفكر . دمشق سنة ٢٠٠٧م .

توديبود : بطرس توديبود .

٣ـ تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس . ترجمة . د/ حسين محمد عطية . ط . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية سنة ٢٠٠١م .

الحموي : ياقوت بن عبدالله الحموي . ت ٦٢٦هـ

٤. معجم البلدان . ط . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان سنة ١٩٧٩م .

ريموندا جيل : ريموندا جيل .

٥. تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ترجمة . د/ حسين محمد عطية . ط . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية سنة ٢٠٠٢م .

الشارتري : فوشيه الشارتري . ت ١١٢٧م

٦. تاريخ الحملة إلى القدس . ترجمة . د/ زياد العسلي . ط . دار الشروق . عمان . الأردن . الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م .

الصوري : وليم الصوري .

٧. الحروب الصليبية . ترجمة . د/ حسن حبشي . ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩١م .

ابن العديم : عمر بن أحمد بن العديم .

٨. بغية الطلب فى تاريخ حلب . تحقيق . د/ سهيل زكار . ط . دار الفكر . بيروت . لبنان . لم تذكر سنة الطبع .

فريزنغ : أوتو أسقف فريزنغ .

٩. المدينتان . ترجمة . د/ سهيل زكار . نشر ضمن الموسوعة الشاملة فى تاريخ الحروب الصليبية . ط . دار الفكر . دمشق سنة ١٩٩٧م .

ابن القلانسى : أبو يعلي حمزة بن القلانسى .

١٠. ذيل تاريخ دمشق . ط . مطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت سنة ١٩٠٨م .

كومنينا : أنا كومنينا . ت ١١٤٨م

١١. ألكسياد . ترجمة . د/ حسن حبشي . ط . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م .

مجهول : مجهول .

١٢ـ يوميات صاحب أعمال الفرنجة المعروف بالجستا . ترجمة . د/ سهيل زكار . نشر ضمن الموسوعة الشاملة فى تاريخ الحروب الصليبية . ط . دار الفكر . دمشق سنة ١٩٩٧م .

ميخائيل : ميخائيل السوري الكبير .

١٣ـ روايات ميخائيل السوري الكبير . ترجمة . د/ سهيل زكار . نشر ضمن الموسوعة الشاملة فى تاريخ الحروب الصليبية . ط . دار الفكر . دمشق سنة ١٩٩٥م .

ثانياً : المراجع العربية والمعربة

أثناسيوس : أثناسيوس راهب من الكنيسة القبطية .

١. الكنائس الشرقية وأوطانها . ط . دار نوبار . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م .

بالار : ميشيل بالار .

٢ـ الحملات الصليبية والشرق اللاتيني . ترجمة . د/ بشير السباعي . ط . دار عين . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م .

براور : يوشع براور .

٣ـ الاستيطان الصليبي فى فلسطين . ترجمة . د/ عبد الحافظ البنا . ط . دار عين .

القاهرة . الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

٤. عالم الصليبيين . ترجمة . د/ قاسم عبده قاسم . ط . دار المعارف . الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م .

برجاوي : سعيد أحمد برجاوي .

٥. الحروب الصليبية فى المشرق . ط . دار الآفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م .

حبشي : حسن حبشي (دكتور) .

٦. الحملة الصليبية الأولى . ط . دار الفكر العربي . القاهرة . لم تذكر سنة الطبع .

رستم : أسد رستم (دكتور) .

٧. كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى . ط . المكتبة البوليسية . بيروت سنة ١٩٨٨م

رنسيمان : ستيفن رنسيمان .

٨. تاريخ الحروب الصليبية . ترجمة . د/ السيد الباز العريني . ط . دار الثقافة . بيروت سنة ١٩٩٧م .

٩. الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم . ترجمة / نور الدين خليل . ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م .

سميث : جوناثان ريلي سميث .

١٠. تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية . ترجمة . د/ قاسم عبده قاسم . ط . دار عين . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٧م .

١١. الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية . ترجمة . د/ محمد فتحي الشاعر . ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية سنة ١٩٩٩م .

سميل : ر . سى . سميل .

١٢. فن الحرب عند الصليبيين فى القرن الثاني عشر (١٠٩٧ . ١١٩٣م) ترجمة / محمد وليد الجلاد . ط . مركز الدراسات العسكرية . دمشق سنة ١٩٨٥م .

عاشور : سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) .

١٣ـ أوروبا العصور الوسطى . ط ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٥٩م .

١٤ـ الحركة الصليبية . ط ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٨٢م .

عطية : عزيز سوريال عطية (دكتور) .

١٥ـ الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب . ترجمة . د/ فيليب صابر سيف . ط . دار الثقافة . القاهرة . الطبعة الثانية . لم تذكر سنة الطبع .

قاسم : قاسم عبده قاسم (دكتور) .

١٦ـ الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية . ط . دار عين . القاهرة سنة ٢٠٠١م .

١٧ـ الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ط ـ دار عين ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م .

١٨ـ ماهية الحروب الصليبية . ط . المجلس الوطني للثقافة . الكويت . سلسلة عالم المعرفة سنة ١٩٩٠م .

كين : موريس كين .

١٩ـ حضارة أوروبا العصور الوسطى . ترجمة . د/ قاسم عبده قاسم . ط . دار عين . القاهرة سنة ٢٠٠٧م .

ماستناك : **توماش ماستناك** .

٢٠. السلام الصليبي . ترجمة . د/ بشير السباعي . ط . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة سنة ٢٠٠٣م .

موسى : **تيسير بن موسى (دكتور)** .

٢١. نظرة عربية على غزوات الإفرنج . ط . الدار العربية للكتاب . بيروت . لم تذكر سنة الطبع .

اليسوعي : **صبحي حموي السيوعي** :

٢٢. معجم الإيمان المسيحي . ط . دار المشرق . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٩٨م .

يوسف : **جوزيف نسيم يوسف (دكتور)** .

٢٣ـ العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى . ط . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية سنة ١٩٦٣م .

ثالثاً : المصادر والمراجع الأجنبية

1- The American Historical review . published by American historical association .

2- The Cambridge medieval history , Cambridge University press, London . 1923 .

3- Dana Carlton Munro : letters of the crusaders written from the holy land . university of pennsylvania , 1900 .

4- D. S. Chambers : Popes , Cardinals and War . published in London . 2005 .

5- Encyclopedia Britannica . Cambridge university press . 1911 .

6- History of the knights tampler , the privy journaly .

7- Kenneth.M. Setton : A history of the crusades . the university of Wisconsin press . London . 1969 .

8- The new Cambridge medieval history . Cambridge university press . 2008 .

9- New Catholic Encyclopedia . the Catholic university of American press . Washington , U.S.A .

10- Past and Present Journal , Published by Oxford university press .

11- Robert the Monk : History of the First Crusade . historia iherosolimitana translation , 11. Carol Sweetenham Ashgate Publishing , England . 2006.

12- Speculum A Journal of medieval studies , Published by medieval Academy of American .

رابعاً : الندوات

١. ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط . تحرير . د/ قاسم عبده قاسم . ط . دار المعارف سنة ١٩٨٤م .